بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٦٢ ـ شعبان ١٤٣٣هجرية قمرية

تير ١٣٩١هجرية شمسية / يوليو (تموز) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب
ملحق
رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة :

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية
www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ . ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ . المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٦٢

علاقة العلم بالإيمان ٤

الاجتهاد في الشريعة..... ٣١

الشهيد الصدر والثورة الاسلامية في إيران ٤٤

الشيخ ابن باديس في تصور مفدي زكريا ٦٤

المطهري والصدر والإحياء الديني ٧١

المنهج النبوي في بناء الوحدة ٧٧

من استراتيجية التقريبي للايسيسكو ٨٩

رشدي فكار... فيلسوف المشروع الحضاري ٩٧

جولة في كلمات التحرير لمجلة رسالة الإسلام ١٠٣

علاقة العلم بالإيمان

مرتضى مطهري*

في عالم المسيحية، ظهرت مع الأسف أفكارتوحي بالتناقض بين العلم والإيمان، وتلك الأفكارتستمد وجودها من انحرافات العهد القديم حيث يقول:

«... وأوصى الإله آدم قائلًا: من جميع شجرالجنة تأكل أكلًا. وأما شجرة معرفة الخيروالشرفلا تأكل منه. لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت»[٢].

ويقول:

«وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجرالجنة، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخيروالشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها

---

*- عالم إيراني فقيد.

٢- سفرالتكوين، الإصحاح الثاني، الآية ١٦ ـ ١٧ .

أيضًا معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر»[1].

ويقول أيضًا: «وقال الرّب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخيروالشر. والآن لعله يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد»[2].

الشجرة الممنوعة في هذا المفهوم هي ـ إذن ـ شجرة المعرفة، وكان أمرالله (الدين) يقضي بعدم اقتراب الإنسان من هذه الشجرة، ولما عصى أمرربه وصار «عارفًا» طُرد من الجنة.

كل الوساوس التي تساورالإنسان، هي وسوسة المعرفة، ومن هنا كان الشيطان الوسواس هو (العقل) ذاته، في مفهوم العهد القديم!

والمسلم يمتلكه العجب حين يسمع هذا.. يعجب لأن القرآن علّمه: أن الله تعالى علّم آدم الأسماء (الحقائق) كلها. ثم قال للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا.. إلا إبليس.. عصى لأنه لم يسجد لآدم العارف بالحقائق.

يعجب لأن السنّة علّمته أن الشجرة الممنوعة، هي رمزالحرص والطمع وأمثال ذلك مما يرتبط بحيوانية الإنسان لا بإنسانيته. والشيطان الوسواس، يوحي دومًا ما هو مناقض للعقل وملائم لهوى النفس الحيوانية، والنفس الأمارة ـ لا العقل البشري ـ هي التي تمثل

١- سفرالتكوين، الإصحاح الثالث، الآية ١- ٨ .

٢- سفرالتكوين، الإصحاح الثالث، آية ٢٣ .

مظهرالشيطان في الوجود الإنساني.

نعم، الإنسان المسلم الذي تربى على هذه المفاهيم، يتملّكه العجب حين يسمع ما جاء في سفرالتكوين.

مما سبق نفهم سبب تقسيم تاريخ الحضارة الأوربية خلال القرون الخمسة والعشرين الأخيرة إلى عصرالإيمان وعصرالعلم! وسبب تناقض العلم والإيمان في ذهن الإنسان الأوربي.

هذا، بينما تاريخ الحضارة الإسلامية يقسّم إلى عصرين:

ـ عصرازدهارالعلم والإيمان معًا.

ـ عصرانحطاط العلم والإيمان معًا.

والمسلم ينبغي أن يكون على حذرشديد من الفهم الأوربي لعلاقة العلم بالإيمان، ومن الانجرارنحو التقليد الأعمى لهذا الفهم الذي جرّعلى العلم وعلى الإيمان أفظع الأضرار.

ونريد الآن أن نعالج هذه المسألة بعمق أكثر، ونبين مدى صحة مقولة انفصال العلم عن الإيمان، ونجيب على هذا السؤال: هل إن حياة الإنسان محكوم عليها دومًا بنوعين من الشقاء: إمّا الجهل، و إمّا شقاء عدم الإيمان؟!

وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة هامة في هذا الصدد.

كلّ إيمان لابدّ أن يقوم على أساس نظرة خاصة إلى الكون والحياة، كما سنوضّح ذلك في الفصول القادمة. وبعض هذه النظرات تتنافى مع أصول العلم والمنطق.. وهذا ما لسنا بصدده،

و إنما الذي نريد أن ندرسه، هو النظرة التي تستطيع أن تكون مسنودة بالعلم والمنطق من جهة، وأن تكون قاعدة قويمة لإيمان يبعث على السعادة من جهة أخرى.

و إن أثبتنا وجود هذه النظرة، أجبنا على السؤال المذكور، وعرفنا أن الإنسان غير محكوم عليه دومًا بنوعين من الشقاء.

علاقة العلم بالإيمان يمكن دراستها على صعيدين:

الأول: ندرس فيه إمكان وجود تصور للكون والحياة، مسنود بالعلم والمنطق من جهة، ويتّصف بالإيمانية والهدفية من جهة أخرى. وهذا ما خصصنا له دراسة مستقلة.

الثاني: تأثير كل من العلم والإيمان على الإنسان ومدى تعارض التأثيرين أو انسجامهما.

علاقة العلم بالإيمان على الصعيد الثاني هي في رأينا علاقة تكميلية، أي إن أحدهما يكمّل الأخر.

العلم يمنحنا القوة وينيرلنا الطريق، والإيمان يبعث في قلوبنا الأمل والاندفاع.

العلم يصنع الآلة، والإيمان يرسم الهدف.

العلم يبعث على السرعة، والإيمان يعين الاتجاه.

العلم قوة، والإيمان إرادة سليمة.

العلم يكشف عما هو موجود، والإيمان يكشف عما ينبغي أن نعمل.

العلم ثورة خارجية، والإيمان ثورة داخلية.

العلم يحوّل العالم إلى عالم إنساني، والإيمان يصيرالنفس إلى نفس إنسانية.

العلم يوسّع نطاق وجود الإنسان أفقيًا، والإيمان يرفع مستوى هذا الوجود عموديًا.

العلم يصنع الطبيعة، والإيمان يصنع الإنسان.

العلم والإيمان كلاهما يمنحان الإنسان القوة، لكن العلم يمنحه قوة منفصلة والإيمان يمنحه قوة متصلة.

العلم جمال والإيمان جمال، غيرأن العلم جمال العقل، والإيمان جمل الروح.. العلم جمال الفكروالإيمان جمال الشعور.

العلم والإيمان كلاهما مدعاة للاطمئنان، بيد أن العلم اطمئنان خارجي، والإيمان اطمئنان داخلي.

العلم يقي الإنسان من الأمراض الجسمية والكوارث الطبيعية، والإيمان يقيه من الأمراض والعقد النفسية.

العلم يوائم بين العالم والإنسان، والإيمان يوائم بين الإنسان وذاته.

حاجة الإنسان إلى العلم والإيمان معًا مسألة ألفتت أنظار المفكرين.

محمد إقبال اللاهوري يقول:

«البشرية اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور: إلى تفسيرروحي للعالم، و إلى

حرية روحية للكائن الإنساني، و إلى مبادئ أساسية ذات مفعول عالمي تدفع المسيرة البشرية نحو التكامل على أساس روحي.

مما لا شك فيه أن أروبا الحديثة أسّست مراكز فكرية مثالية في هذه الحقول، لكن التجربة أثبتت أنّ الحقيقة التي يتمخّض عنها العقل المحض لا تستطيع أن تنطوي على حرارة الإيمان الحي الذي لا يتأتّى إلا عن طريق الإلهام الشخصي. ومن هنا نجد أن العقل المحض لم يكن له تأثير يذكر على النوع البشري. بينما كان الدين دومًا مبعث ارتقاء الأفراد، ومبعث تغيير شكل المجتمعات البشرية.

مثالية أوربا لم تدخل الحياة الاجتماعية بشكل عامل حيوي، ونتج عن ذلك الإنسان الحائر بين الديمقراطيات المتضاربة، وهو يبحث عن ذاته، حيث اتجهت تلك الديمقراطيات نحو استثمار الفقراء لصالح الأغنياء.

صدّقوني أن أوبا تشكل اليوم أكبر عقبة على طريق تقدّم أخلاق البشرية.

ومن جهة أخرى يمتلك المسلمون أفكارًا ومعتقدات متسامية متكاملة تقوم على أساس الوحي. هذه الأفكار والمعتقدات تنطلق من أعماق الحياة لتُضفي على ظواهر الحياة صفة باطنية.

الإنسان المسلم يؤمن بالأساس الروحي للحياة كأمر اعتقادي، وهو على استعداد لأن يبذل روحه رخيصة في سبيل هذا الاعتقاد»[1].

١- إحياء الفكر الديني، ص ٢٠٣، ٢٠٤ من الترجمة الفارسية.

ويل ديورانت (مؤلف تاريخ الحضارة المعروف) على الرغم من عدم تدينه يقول:

«عالم الآلة الحديث يختلف عن العالم القديم في الوسائل فقط، لا في الأهداف..

ماذا ستقول لو أن كل تطوّراتنا اتجهت نحو إصلاح الطرق والوسائل ولم تتجه نحو إصلاح الغايات والأهداف؟[1].

ويقول أيضا:

«الثروة تبعث على الإرهاق، العقل والحكمة يشكلان نورًا باهتًا باردًا. أما العشق فهو الذي يبعث الدفء في القلوب بطريقة يعجز الإنسان عن وصفها[2].

أغلب المفكرين أدركوا اليوم أن الاتجاه العلمي المحض (ساينتزم) عاجز عن صنع الإنسان، والتربية العلمية المحضة تصنع نصف إنسان لا الإنسان الكامل.. تصنع الإنسان القوي المقتدر لا صاحب الفضيلة.

لم يعد يخفى على أحد اليوم أن عصر العلم المحض قد انتهى، وأضحت المجتمعات يتهدّدها الفراغ الروحي، فراح بعضهم يحاول ملء هذا الفراغ بالفلسفة المحضة، وبعضهم لجأ إلى الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.

١- مباهج الفلسفة، ص ٢٩٢ من الترجمة الفارسية.

٢- نفس المصدر، ص ١٣٥.

وفي إيران جَرَت (قبل انتصار الثورة الإسلامية) محاولات لملء هذا الفراغ بالأدب العرفاني، مثل أدب المولوي وسعدي وحافظ، وأصحاب هذه المحاولة غفلوا أن الآداب تستمد روحها وجذّابيتها من الدين.

الروح الإنسانية في هذه الآداب هي الروح الإسلامية، ولا أدلّ على ذلك من خلوّ بعض النتاج الأدبي المعاصر من كلّ روح وجذّابية على الرغم من تظاهره بالنزوع إلى الاتجاه الإنساني.

المحتوى الإنساني للأدب العرفاني الفارسي ناشيء عن نوع من التفكير في الكون والحياة، هو التفكير الإسلامي.

و إن سلبنا هذه الروائع الأدبية روحها الإسلامية، تحوّلت إلى جسد بلا روح.

«ويل ديورانت» من أولئك الذين أحسّوا هذا الفراغ الروحي، فاقترح ملأه بالآداب والفسلفة والفن قائلا: «أفدح الأضرار التي مُنيت بها مدارسنا وجامعاتنا جاءت من نظرية «سپنسر» التربوية التي عرفت التربية: أنها تكييف الإنسان مع ظروف بيئته.

وهذا التعريف الميكانيكي الميت ينطلق من فلسفة «تفوق الميكانيك». والذهن الخلاق والروح الخلاقة ينفران من هذا التعريف.

نتج عن ذلك امتلاء مدارسنا بالعلوم النظرية الميكانيكية، وخلوّها من الآداب والتاريخ والفلسفة والفن التي زعم أنها عديمة الجدوى..

التربية التي تقتصر على العلم لا تلد إلا الآلة، وتجعل الإنسان غريبًا عن الجمال وبعيدًا عن الحكمة لقد كان من الأفضل للعالمَ أن سبنسر لم يكتب كتابًا»[1].

«ويل ديورانت» يعترف أن الفراغ السائد انما هو فراغ إيماني، فراغ هدفي، فراغ في المقاصد والغايات والأهداف يؤدي إلى العبثية. ومن الغريب، أنه يظن ـ مع كل هذا ـ أن هذا الفراغ يمكن ملؤه بأي نوع من أنواع الموضوعات الروحية والمعنوية، حتى ولو لم تكن تلك الموضوعات تتجاوز حدود قوة التخيل!!

ويظنّ أن هواية التاريخ والفن والجمال والشعر والموسيقى، قادرة على ملء الفراغ الذي يستمد وجوده من فطرة الإنسان الميالة إلى الأهداف السامية والكمال الإنساني.

الفصام بين العلم والإيمان

علمنا أن العلم والإيمان لا يتناقضان، وليس هذا فحسب، بل إن أحدهما يكمّل الآخر.

وهنا نطرح هذا السؤال: هل إن أحدهما يستطيع أن يحلّ محلّ الآخر؟

حين تحدثنا عن دور العلم ودور الإيمان أجبنا إلى حدّ كبير على هذا السؤال.

١- مناهج الفلسفة، ص ٢٠٦.

فـالعلم لا يسـتطيع أن يحـلّ محـلّ الإيمـان، إذ إن الإيمـان يخلـق الانـدفاع والأمـل، ويرفـع سـطح تطلّعاتنـا، ويبـدّل أهـدافنا (القائمـة طبيعيًا وغريزيًا على أساس الفردية والذاتية) إلى أهداف قائمة على أساس الحب والنـزعات الروحية والمعنوية، ويغيرمحتوانا الداخلي.

والإيمـان لا يسـتطيع أن يحـلّ محـلّ العلـم، فـالعلم يعرّفنـا علـى الطبيعة، ويكشف لنا قوانينها، ويعرّفنا على أنفسنا أيضًا.

التجارب التاريخية تؤكد أن انفصام العلم عن الإيمان جرّعلى البشرية أفظع الأضرار.

لابـدّ للإنسـان أن «يـؤمن» علـى أسـاس مـن العلـم، فـالعلم يقـي الإيمان من التلوّث بالخرافات.

إنفصـال العلم عـن الإيمـان، يـؤدّي بالإيمـان إلى الجمود والركـود والتعصّب الأعمى.

أينما خَلَت الساحة من العلم والمعرفة، يضحى المؤمنون الجهلة ألعوبة بيد المنافقين المحنكين، كما حدث ذلك للخوارج وأمثالهم في مختلف العصورالإسلامية.

والعلـم، إن لـم يقتـرن بالإيمـان، هـو سـيف فـي يـد متهـوّرأهـوج، ومصـباحٌ فـي يـد سـارق يسـتخدمه فـي انتقـاء المتـاع الأفضـل عنـد السرقة.

الطبيعـة السـلوكية للأفـراد غيـرالمـؤمنين واحـدة لااخـتلاف فيهـا، سواء عاشوا في عصرنا الراهن (عصرالعلم) أم في العصورالغابرة.

مـن هنـا لا نجـد فرقًـا بـين أفـراد معاصـرين مثـل «تشرشـل» و«جونسون» و«نيكسون» و«ستالين»، وبين أفراد كانوا يعيشون في عصور خلت من قبل مثل فرعون وجنكيز.

وربما يعترض معترض فيقول: إن العلم قوة وهداية، وقوته وهدايته لا تقتصران على العالم الخارجي، بل إنه يضيء لنا وجودنا الداخلي، وبذلك يمنحنا القدرة على تغيير محتوانا الداخلي. فالعلم يستطيع إذن أن يصنع العالم ويصنع الإنسان، وبمقدوره أن ينهض بالدور الذي ينهض به الإيمان إضافة إلى دوره الخاص.

هذا صحيح طبعًا.. غير أن قدرة العلم وقوته كقدرة الآلة وقوتها، ترتبط بإرادة الإنسان وأوامره. الإنسان يستطيع باستخدام العلم، أن يقوم بعمل أفضل في كل المجالات، ومن هنا فالعلم أفضل عون للإنسان على طريق تحقيق أهدافه المتوخّاة. وتبقى مسألة الأهداف التي لا يستطيع العلم بكل تطوراته واكتشافاته أن يغير منها شيئًا.

الإنسان يمتلك الصفات الحيوانية بالطبع، ويحصل على الصفات الإنسانية بالاكتساب، أي إن الاستعدادت الإنسانية تظهر في الإنسان بالتدريج في ظل الإيمان.

الإنسان يتحرّك بالطبع على طريق تحقيق أهدافه الحيوانية وتلبية رغباته الذاتية الفردية، ويستخدم كل آلة، بما فيها آلة العلم، على هذا الطريق. ومن هنا كانت هذه الآلة عاجزة عن تغيير مسار الإنسان ورفع مستوى أهدافه وتطلّعاته.

الإنسان بحاجة إلى قوّة تحرّك طاقاته الإنسانية الكامنة، وتفجّر في أعماقه ثورة، وتمنحه اتجاهًا جديدًا. ومثل هذا التغيير، لا يحصل إلا عن طريق الإيمان ببعض القيم وتقديسها. وهذه القيم وليدة نزعات متسامية في الإنسان، وهذه النزعات تنبثق بدورها من نظرة خاصة إلى الكون والحياة، لا يمكن الحصول عليها من المختبرات ولا من محتوى الأقيسة والاستدلالات، وسنوضّح ذلك أكثر فيما بعد.

انفصام العلم عن الإيمان، أدّى إلى نتائج وخيمه، وهذا ما حدّثنا عنه التاريخ وما نشهده في عالمنا المعاصر.

فحين ساد الإيمان ولم يكن معه العلم، اتجهت المساعي الإنسانية نحو أمور غير مجدية وغير مثمرة غالبًا، بل وأدّت أحيانا إلى خلق الجمود والتعصّب والتحجّر، و إلى نزاعات تافهة مخرّبة، والتاريخ مليء بمثل هذه الصور.

وحين تطوّر العلم ولم يقترن بالإيمان، اتجهت الطاقات العلمية نحو خدمة نزعات الغرور والكِبرَ والتوسّع والتسلط والاستثمار والاستعباد والمكر والخداع.

القرنان الأخيران، أو الثلاثة الأخيرة، يمكن اعتبارها عصور عبادة العلم والابتعاد عن الإيمان.

كثير من العلماء، خالوا أن جميع مشاكل البشرية يمكن حلّها بعصا العلم السحرية، لكن التجربة أثبتت خلاف ذلك فلا تجد اليوم بين العلماء من ينكر حاجة الإنسان إلى نوع من الإيمان بشيء خارج

عن نطاق العلم، حتى ولو لم يكن إيمانًا دينيًا. «برتراند رسل» مع ماله من اتجاهات مادية يقول:

«العمل الذي يستهدف الحصول على المال فقط، لن تكون له نتيجة مفيدة. ومن أجل تحقيق مثل هذه النتيجة، ينبغي القيام بعمل ينطوي على «الإيمان» بفرد أو بعقيدة أو بهدف»[1].

الماديون أيضًا مضطرون اليوم إلى الادعاء أنهم ماديون على الصعيد الفلسفي، ومثاليون على الصعيد الأخلاقي! أي إنهم ماديون على مستوى النظرية وروحيون على مستوى العمل والهدف[2].

تُرى كيف يمكن أن يكون الإنسان ماديًا في الفكرة وروحيًا في العمل والهدف؟! هذا سؤال ينبغي أن يجيب عليه الماديون أنفسهم.

جورج سارتن، العالم الذي اشتهر بكتابه *تاريخ العلم* يصرّح بعجز العلم عن إحلال علاقات إنسانية بين أبناء البشر، ويؤكد على حاجة الإنسان المبرمة إلى دوافع إيمانية، فيقول:

«العلم حقّق في بعض المجالات انتصارات عظيمة وباهرة، لكننا لازلنا نخدع أنفسنا في المجالات الأخرى، مثل السياسة الداخلية والعالمية التي ترتبط بعلاقات أفراد البشر مع بعضهم»[3].

١- رسل، الزواج والأخلاق.

٢- جورج بوليتزير، مبادئ الفلسفة.

٣- جورج سارتن، الأجنحة الستة.

ويؤكد «سارتن» على احتياج الإنسان إلى إيمان ديني، والى مثلث الفنّ والدين والعلم فيقول: «الفنّ يميط اللثام عن الجمال، وهو لذلك مبعث سرورالحياة. الدين يبعث على الحبّ.. العلم يتعامل مع الحق والحقيقة والعقل، ويؤدّي إلى فطنة النوع البشري.

ونحن بحاجة إلى هذه العناصرالثلاثة: إلى الفن و إلى الدين و إلى العلم.

العلم بشكله المطلق ضروري للحياة، ولكنه غير كاف لوحده على الإطلاق»[1].

الإيمان الديني

اتّضح مما سبق، أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا حياة سليمة، ولا يقدرأن يقدّم للبشرية وللحضارة البشرية عملًا نافعًا مثمرًا مالم يحمل مثلًا وأهدافًا سامية و إيمانًا.

إن افتقد الإنسان المثل والإيمان يصبح موجودًا غارقًا في الذاتية، لا يملك أن يخرج من قوقعة مصالحه الضيقة، أو يصبحُ هذا الإنسان موجودًا مردّدًا حائرًا لا يعرف مهمّته في الحياة، ولا يقدرأن يتّخذ موقفًا من المسائل الأخلاقية والاجتماعية.

الإنسان المؤمن الهادف، يتخذ موقفًا واضحًا محددًا من تلك المسائل، لكن الإنسان غيرالهادف يبقى إزاءها مردّدًا حائرًا تتقاذفه

١- الأجنحة الستة، ص ٣٠٥ .

الرياح من كل جانب، وليس في سلوكه تناسق أو توازن.

نعم، ضرورة الالتزام بمدرسة فكرية، مسألة لا ترديد فيها.. غير أن المسألة التي ينبغي أن نؤكّد عليها هي أن الإيمان الديني وحده هو القادر على خلق الإنسان «المؤمن» الواقعي.

الإيمان الديني، قادر على أن يصهر في بوتقته كلّ الذاتيات والأنانيات، وأن يوجد في الإنسان نوعًا من «التعبد» و«التسليم»، بحيث لا يتردد الفرد في الالتزام بكل خطوط المبدأ صغيرها وكبيرها. كما يصبح المبدأ عند الإنسان عزيزًا حبيبًا يدافع عنه بغيرة وحمية، وتصبح الحياة لديه فارغة تافهة بدون المبدأ.

الإيمان الديني، يدفع بالإنسان إلى أن يبذل مساعي قد تتعارض مع ميوله الطبيعة. وقد يضحّي بوجوده وكيانه على طريق إيمانه، وهذا لا يتم إلا إذا اتخذ المبدأ طابعًا مقدسًا لدى الإنسان، وفرض سيادته المطلقة على وجوده. والقوة الدينية وحدها هي القادرة أن تُضفي على المبادئ طابع القدسية وتفرضها فرضًا تامًا على الإنسان.

بعض المجموعات البشرية تثور أحيانًا بوجه الظلم والطغيان، وتُضحّي على طريق ثورتها بالمال والنفس لكنها لا تنطلق من المبدأ والعقيدة الدينية، بل من العُقد والأحقاد وروح الانتقام وهذا ما نشهده في بقاع متعددة من العالم.

وحين تطرح العقيدة الدينية على ساحة الثورة، تكتسب المبادئ

صفة مقدسة، وتقدم التضحيات برضى تام وبشكل طبيعي.

والبون شاسع بين عمل يتمّ عن إيمان ورضى أي نتيجة «انتخاب»، وبين عمل يتم تحت تأثيرالعقد والضغوط النفسية، أي نتيجة «انفجار».

ومن جهة أخرى، فإن الإنسان المادّي (أي الذي تقوم تصوّراته عن الكون والحياة على أساس مادّي، ويحصرالواقع في إطار المحسوسات) يجد تعارضًا بين كل اتجاه عقائدي هادف، وبين واقع علاقاته الحسية بالعالم.

التصورالحسّي، يلد الذاتية لاالعقائدية، والعقائدية إن لم تنسجم مع «التصور» لاتعدوأن تكون وهمًا وخيالًا.

والإيمان الديني آصرة ودّية بين الإنسان والعالم، وتنسيق بين الإنسان والاتجاه العام للكون، أما الإيمان غيرالديني فهو «انسلاخ» عن الكون، وبناء عالم خيالي لا يسنده العالم الخارجي.

الإيمان الديني لا يقتصرعلى فرض مجموعة من الواجبات على الإنسان على الرغم من ميوله الطبيعية، بل يغيرمظهرالعالم في نظر الإنسان، ويضفي على تركيب العالم عناصرأخرى غيرالعناصر المحسوسة. ويبدل العالم الميكانيكي المادّي الجاف البارد، إلى عالم ذي وعي وروح وشعور.

الإيمان الديني يغيرنظرة الإنسان إلى الكون والحياة.

«ويليم جيمس» الفيلسوف، وعالم النفس الأمريكي في مطلع

القرن العشرين يقول: «الفكر الديني يقدّم لنا العالم المادّي بمظهر متغير، وليس هذا حسب، بل يدخل في تركيب ذلك العالم أشياء أخرى تزيد على التي يتحسّسها الإنسان المادي»[1].

إضافة إلى كل ما سبق، النزوع نحو الحقائق المقدسة المستحقة للعبادة، قائم في طبيعة جميع أفراد البشر.

الإنسان مركز مجموعة من النزعات والقوى غير المادية القابلة للتربية والنمو. نزعات الإنسان، لا تنحصر بالاطار المادي، بل ثمة نزعات روحية معنوية لم تنشأ في الإنسان عن طريق اكتسابي أو تلقيني. وتلك حقيقة يؤيدها العلم.

يقول ويليم جيمس: «مع أن الباعث أو المحرّك لرغباتنا ينطلق من هذا العالم، فإن نزعاتنا وآمالنا تنطلق من عالم ماوراء الطبيعة، إذ إنها لا تنسجم مع الحسابات المادية»[2].

وجود هذه النزعات يفرض عملية تربيتها، و إن لم تتربّ بشكل صحيح، ولم تستثمر بشكل صحيح، تتخذ مسارًا منحرفًا، وتؤدي إلى أضرار فادحة كالذي نشهده في أوساط عبادة الأوثان، وعبادة الفرد، وعبادة الطبيعة، ونظائرها من العبادات.

يقول أريك فروم: «لا أحد يستغني عن الدين، وعن الإطار الذي يحدد اتجاهه وموضوع ميوله. قد لا يطلق الفرد اسم الدين على

١- ويليم جيمس، الدين والنفس.

٢- نفس المصدر السابق.

معتقداته التي آمن بها من مصادرغيردينية. وقد يظن أنه بدون دين ، ويرى أن ارتباطه بغايات تبدو غيردينية كالقدرة والمال والنجاح هو علامة لانشداده بالمسائل العملية المصلحية.

القضية لاتدورحول تدين الإنسان أوعدم تدينه، بل حول نوع الدين الذي يؤمن به»[1].

هذا العالم النفسي، يقصد أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون تقديس وعبادة، فإن لم يعبد الإله الواحد الأحد، يتجه نحو عبادة أشياء أخرى باعتبارها الحقيقة الأسمى، ويتّخذ منها موضوعًا لإيمانه.

أفرادُ البشرإذن ملزمون أن يكون لهم فكرة وهدف و إيمان. والإيمان الديني هو الإيمان الوحيد القادرأن يجعل الإنسان تحت نفوذه الحقيقي. والإنسان ـ من جهة أخرى ـ يبحث بطبيعته عن شيء يقدّسه ويعبده. من كل هذا نستنتج أن الطريق الوحيد ينحصرفي تقوية الإيمان الديني.

القرآن الكريم يصرّح بأن الإيمان الديني ينسق بين الإنسان والكون:

﴿أَفَغَيرَدِينِ اللّهِ يبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

ويؤكّد كتاب الله العزيزأن الإيمان الديني جزء من طبيعة الإنسان:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللّهِ الَّتِي فَطَرَالنَّاسَ عَلَيهَا﴾.

١- اريك فروم، علم النفس والدين.

آثارالإيمان وفوائده

اتّضح مِمّا سبق إلى حدّما، آثارالإيمان الديني، ولابدّ من الحديث عنها بشكل مستقل كي تتجلّى أكثرفوائد هذه البنية الأساسية القيمة للحياة.

الكاتب الروسي تولستوي يقول:

«الإيمان هوالشيء الذي يعيش مع الناس».

والحكيم ناصرخسروالعلوي يخاطب ولده قائلًا ما ترجمته:

ولّيتُ وجهي عن الدنيا إلى الدين

إذ الحياة بدون الدين كالسجن

ولي في القلب مُلكٌ من عطاء الدين

يبقى خالدًا ـ ولدي ـ ولم يهن[1]

للايمان الديني آثارنفسية واجتماعية عديدة نوضّحها فيما يلي:

أولا: الآثارالنفسية:

الإيمان الديني على الصعيد النفسي ذوآثارعظيمة منها:

١- زدنيا روى زى دين كردم ايراك

مرا بى دين، جهان چه بود وزندان

مرا پورا زدين ملكى است دردل

كه آن هرگزنخواهد گشت ويران

١ـ التفاؤل، التفاؤل بالعالم والكون والوجود. الإيمان الديني يمنح الإنسان نظرة خاصة للكون والوجود، هذه النظرة تتلّخص في كون الطبيعة هادفة، تنشد الخيروالسعادة والكمال.

ومن الطبيعي أن تُصبح نظرة الإنسان المؤمن المتدين متفائلة لنظام الوجود وقوانينه.

وضعُ الإنسان المؤمن في دنيا الوجود كوضع إنسان يؤمن بعدالة الأنظمة والقوانين الحاكمة في بلده، ويؤمن أيضًا بصلاحية المسؤولين في ذلك البلد، ويرى طبعًا أن فرص التطوّروالتقدّم متاحة للجميع، ويعتقد أن السبب الوحيد، الذي يمكن أن يؤدّي إلى تأخّره وتخلّفه، يعود إلى تقاعسه وسذاجته هو نفسه، و إلى تقاعس وسذاجة أمثاله من الأفراد.

هذا الفرد يلقي تبعة تخلّفه على نفسه، لا على أنظمة البلد وقوانينه. و إن رأى نقصًا ينحي باللائمة على نفسه وعلى أمثاله الذين لم ينهضوا بمسؤوليتهم.

وهذا اللون من التفكيريستنهض همّة هذا الفرد، ويدفعه إلى الحركة بأمل وتفاؤل.

أما الإنسان غيرالمؤمن فهو يعيش في هذا العالم كمعيشة إنسان يعتقد بظلم وفساد القوانين والأنظمة الحاكمة في بلده، ويرى نفسه مضطرًا إلى الخضوع لها. مثل هذه الفرد يحسّ دومًا أنه مملوء بالعقد والأحقاد، ولا يفكّرعلى الإطلاق في إصلاح نفسه، إذ لا يرى

جدوى في ذلك، فهو يرى نفسه قطرة في بحر يموج بالظلم والجور.

هذا الإنسان لا يحسّ بلذّة في هذا العالم، لأن العالم في نظره سجن رهيب، والقرآن الكريم يقول عنه:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

الإيمان هو الذي يزيل ضَنَكَ العيش ويوسّع آفاق نظرتنا إلى الحياة.

٢- **التفتح**: الإنسان المؤمن، يرى العالم مشرقًا بنور ربّه، فيشرق النور في روحه وأعماقه، وتتفتح نفسه للحقيقة خلافًا للفرد الخالي من الإيمان، فإنه يرى العالم فارغًا تافهًا مظلمًا فاقدًا لكل إدراك و إحساس، وهو لذلك يعيش في انغلاق وظلام نفسي.

٣- **الأمل**: الإنسان المؤمن لا يفقد الأمل في نتيجة أعماله الصالحة. الفرد المادّي يعتبر الكون محايدًا تجاه الأفراد الصالحين والظالمين، ويرى العالم لا يفرّق بين السائرين على طريق العدل والاستقامة، والسائرين على طريق الظلم والانحراف. ونتيجة العمل ترتبط في المنطق المادي بمقدار المساعي المبذولة لا غير.

لكن الإنسان المؤمن لا يعتقد أن العالم محايد إزاء الفريقين. بل يرى أن جهاز الخليقة يقف إلى جانب السائرين على طريق الخير والحق والعدالة:

﴿إِن تَنصُرُوا اللّهَ ينصُرْكُمْ﴾. ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

٤- **الطمأنينة**: الإنسان ينشد سعادته فطريًا فإن اتسمت أمامه

السعادة يطير فرحًا، و إن ارتسم أمامه مستقبل مشؤوم مقرون بالحرمان ترتعد فرائصه ويسوده قلق واضطراب.

ثمة عاملان يبعثان على سعادة الإنسان:

١.السعي والمثابرة.

٢- الاطمئنان بظروف البيئة.

نجاح الطالب مثلًا يعتمد على شيئين: سعيه وجهوده، وظروف المدرسة وما يكتنفها من تشجيع المسؤولين واهتمامهم.

و إن فقد الطالب الساعي المجد ثقته بالمدرسة التي يدرس فيها، وبمعلّمه الذي سيقرر مصير الطالب في نهاية السنة الدراسية، وبالمعاملة التي يلقاها من مسؤولي المدرسة، فسيغمر وجود هذا الطالب قلق واضطراب طوال أيام السنة.

الإنسان بصير بنفسه، ولا يعتريه قلق من هذه الناحية، لأن القلق يتأتى من الشك والترديد، والفرد لا يشك ولا يتردّد فيما يرتبط بنفسه.

تصرّفات العالَم هي التي تبثع على قلق الإنسان واضطرابه، لأن الفرد لا يعرف موقف العالَم منه.

هل في العمل الصالح والاستقامة على طريق الحق جدوى؟

هل يثمر السعي والجهد والنهوض بالمسؤوليات؟

مثل هذه الأسئلة تطرح نفسها على الإنسان فتثير فيه اضطرابًا وقلقًا عميقين.

الإنسان والعالم هما، في منظار الإيمان الديني، طرفا معاملة.

وهذه النظرة تبعث في الإنسان الثقة والاطمئنان بالعالم، وتزيل القلق والاضطراب الناشئين عن جهل الانسان بموقف العالم منه، وتبدّلها أمنًا وطمأنينة.

٥- **التمتع باللذات المعنوية**: للإنسان نوعان من اللذات.

الأول: لذّات يتمتع بها الإنسان عن طريق اتصال حاسة من حواسه بالعالم الخارجي، كتمتعه بالعين عن طريق النظر، وبالأذن عن طريق السمع، وبالفم عن طريق الذوق، وباللامسة عن طريق الاتصال.

الثاني: لذّات ترتبط بروح الإنسان وبأعماق وجدانه، ولا علاقة لها بعضو خاص ولا تأتي عن طريق الاتصال بعالم مادّي خارجي. كاللذة التي يحسّها الإنسان من الخدمة والإحسان، أو من المحبوبية والاحترام، أو من نجاحه أو نجاح ولده، وهي لذّات لا ترتبط بعضو خاص وغير خاضعة لعامل مادي خارجي مباشر.

اللذات المعنوية أقوى من اللذات المادية وأرسخ منها. ولذة العبادة والاتصال بالله هي من هذا النوع من اللذات للإنسان العارف المؤمن.

العبّاد العارفون الذين يقرنون عبادتهم بالخضوع والاستغراق وحضور القلب ينالون من العبادة أعظم اللذات. وقد عُبّر عن هذا اللذة في النصوص الدينية بطعم الإيمان وحلاوة الإيمان.

في الإيمان حلاوة لا تبلغها حلاوة. واللذات الروحية ـ مثل لذّة طلب العلم، والإحسان، والخدمة، والنجاح ـ تزداد وتتضاعف حين

تنطلق من إحساس ديني وتستهدف رضا الله تعالى، وتتخذ صفة «العبادة».

٦- روح المقاومة: حياة البشر تشتمل -إضافة إلى الأفراح والمسرّات والانتصارات -على أتعاب وآلام وفشل ومصائب.

كثير من مظاهر المرارة في الحياة يمكن درؤه، و إن تطلب هذا الدرء مزيدًا من المساعي والأتعاب.

الإنسان مكلّف طبعًا أن يواجه مرارة الطبيعة ويبدلها حلاوة، لكن بعض هذه المرارات لا يمكن مواجهتها و إزالتها مثل الشيخوخة. فالفرد يسير نحو الشيخوخة شاء أم أبى، ويتضاءل بالتدريج نور عمره، وترتسم مظاهر الهرم على صفحة حياته. كما أنّ التفكير بالموت ومغادرة الحياة، وترك كل شيء للآخرين يؤلم الإنسان بشكل آخر.

الإيمان الديني يخلق روح المقاومة في الإنسان، ويبدّل المرارة حلاوة.

الإنسان المؤمن، يعلم أن كل أمر في العالم له حساب معين، وأن الله سبحانه يجبر بشكل معين كل كسر يواجهه الإنسان، إن كان موقف ذلك الإنسان من انكساره صحيحًا.

والشيخوخة ليست إيذانًا بنهاية وجود الإنسان في نظر الإنسان المؤمن، كما أن الفرد المؤمن يملأ فراغه بالعبادة ويأنس بذكر الله. ومن هنا فمرحلة الشيخوخة لدى الفرد المؤمن لذيذة ومحبوبة وقد

تزداد لذتها لدى العابدين على لذة الشباب.

والإنسان المؤمن، ينظر إلى الموت بشكل يختلف عن نظرة الإنسان غير المؤمن. فالمؤمن لا يرى الموت إبادة وفناء، بل انتقالًا من حياة فانية زائلة إلى حياة خالدة باقية، ومن عالم صغير إلى عالم أكبر. المؤمن يرى الموت انتقالا من حياة العمل والزرع، إلى حياة النتيجة واقتطاف الثمار.

من هنا يعمل هذا الفرد على إزالة قلقه من الموت بالسير على طريق مثمر بناء، أو على طريق «العمل الصالح» على حدّ التعبير القرآني.

علماء النفس يجمعون على أن أكثر الأمراض النفسية الناشئة من الآلام الروحية ومصائب الحياة تتفشّى بين غير المتدينين.

المتدينون مصونون من الإصابة بهذه الأمراض بمقدار يتناسب مع قوة إيمانهم.

عصرنا الراهن يشهد زيادة الأمراض النفسية والعصبية بسبب هبوط مستوى الإيمان الديني.

ثانيًا: دور الإيمان على صعيد العلاقات الاجتماعية

الإنسان ـ مثل بعض الأحياء الأخرى ـ اجتماعي بالطبع. فالفرد لا يستطيع بمفرده أن يسدّ احتياجاته، والحياة ينبغي أن تكون «شركة» تُقسّم فيها الواجبات والحقوق بين الأفراد مع فارق بين الإنسان وسائر الأحياء الاجتماعية (مثل النحل)، هو أنّ هذه الأحياء

تحيا حياةً منظمة في الأعمال والواجبات انطلاقًا من غريزتها وبحكم طبيعتها، ولا تستطيع أن تتمرّد على هذه الغريزة أو تنحرف عنها. بينما الإنسان موجود حرّ مختار، يؤدّي أعماله بحرية باعتبارها «واجبات» و«تكاليف».

بعبارة أخرى، تلك الأحياء ذات احتياجات اجتماعية، و إضافة إلى هذا فغرائزها الاجتماعية تتحكّم فيها بشكل جبري. أما الإنسان فذو احتياجات اجتماعية أيضًا، دون أن تتحكّم فيه مثل هذه الغرائز.

الغرائزالاجتماعية للإنسان توجد في داخل الإنسان على شكل «نزعة» ينبغي أن تُربّى في ظل التعليم والتهذيب.

الحياة الاجتماعية السليمة هي تلك التي يحترم فيها الأفراد القوانين والأنظمة والحقوق المتبادلة، ويقدّسون العدالة، ويتعاملون مع بعضهم تعاملًا وديًا، ويحبّ أحدهم للآخرما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها، ويثق أحدهم بالآخرثقة نابعة من الخصال الروحية، ويحس كلّ منهم بمسؤوليته الاجتماعية، ويلتزم جميعهم بالتقوى والعفاف في السروالعلانية، ويحسن أحدهم إلى الآخربإيثار، ويهبّ جميعهم بوجه الظلم والجورويسدّون الطريق على المُفسد والظالم، ويحترمون القيم الأخلاقية، ويعيشون كالجسد الواحد متّحدين متضامنين.

وهنا يبرزدورالإيمان الديني باعتباره عاملًا لا يبلغه عامل، في

احترام الحق، وتقديس العدل، وتأليف القلوب، و إحلال الثقة المتبادلة بين الأفراد، وتعميق التقوى والعفاف في أعماق الإنسان، ودعم القيم الخلقية، وتنمية شجاعة مواجهة الظلم في النفوس، وجعل الأفراد صفًا مرصوصًا كالجسد الواحد.

المجموعات البشرية التي برزت بسموّها الإنساني على مسرح التاريخ تربّت في إطار المشاعر الدينية.

أشير إلى هذه الحادثة الكبرى التي تشهدها دنيا الإسلام اليوم، وهي التي نصرّ على تسميتها **الصحوة الإسلامية**. إنها حقيقةً **صحوةٌ**، وحقيقيةً **إسلاميةٌ**. يضعون لهذه الحادثة الكبرى أسماء أخرى وعناوين أخرى، أسماء ناقصة. **إن لم تكن هذه التسميات مغرضة فهي ناقصة**. اسم (الربيع العربي) لا يجسّد هذه الحركة العظمى. هذه الحركة هي (صحوة)، صحوة بالمعنى الحقيقي، ولم تكن حادثة عارضة. بل إنها نتيجة لتراكم حوادث سابقة، ولم تكن حادثة قد ولدت اليوم. فخلال سنوات طويلة قد تراكمت عند العرب عِبرَ كثيرة ودرك عميق وهمة متزايدة، وفجأة انفجرت من نقطة معينة مثل بركان، وبرزت على السطح.. وسوف لا تنتهي.

نعم، نحن نؤمن أن هذه القضية ليست لها نهاية. **سوف تستمر، وتتواصل، وتغيّر بإذن الله تاريخ الأمة الإسلامية. إنها بداية حادثة تاريخية كبرى.**

الإمام الخامنئي

من المشترك في الفقه

الاجتهاد في الشريعة

محمد مصطفى المراغي*

... ينبغي الإشارة إلى أن المجتهد قد يكون أهلًا لاستنباط الأحكام الشرعية جميعها لتوافر الشروط فيه، ويسمى «المجتهد المطلق»، وقد يكون أهلًا لاستنباط أحكام وقائع خاصة لإحاطته بما يلزم لتلك الواقع، ويسمى «المجتهد الخاص» أو «المجتهد الجزئي»، والمجتهد والفقيه والمفتي ألفاظ مترادفة في اصطلاح علماء الأصول.

ثم نقل فضيلته نصًا طويلًا عن الإمام الغزالي في كتابه *المستصفى* وعلّق عليه بقوله:

هذه هي شروط المجتهد المطلق الذي كلّفه الشارع البحث عن الأحكام جميعها من أدلتها التفصيلية، وحرّم عليه التقليد وتوسّط أحدٍ من خلق الله بينه وبين الأدلة، وتلخّص فيما يأتي:

١- يشترط في المجتهد أن يكون عالمًا بموضع الآية التي يريد الاستدلال بها وتطبيقها عند الحاجة، ولا يشترط فيه حفظ الكتاب كلّه ولا حفظ آيات الأحكام.

٢- يشترط أن يكون عارفًا بموقع كل باب من أبواب الحديث

---

*ـ شيخ الأزهر الأسبق.

بحيث يستطيع المراجعة وقت الفتوى، ولا يشترط أن يكون حافظًا للأحاديث كلها، ولا أن يكون حافظًا لأحاديث الأحكام، ويكفي أن يكون عنده أصل *كسنن أبي داود ومعرفة السنن* لأحمد البيهقي.

٣- يلزم أن يعرف أن الآية التي يستدل بها ليست منسوخة والحديث الذي يستدل به ليس منسوخًا.

٤- يلزم أن يعرف أن المسألة التي يبحث فيها ليست مجمعًا فيها على رأي يخالف رأيه، ولا يلزمه حفظ مواقع الإجماع والخلاف.

٥- يلزم أن يكون عارفًا باللغة والنحو على الوجه الذي يتيسّر به فهم خطاب العرب، وأن يكون عارفًا للأدلة وشروطها.

٦- الأحاديث التي اشتهر رواتها بالعدالة وقبلتها الأمة لا يلزمه أن يبحث عن أسانيدها، أما الأحاديث التي ليست كذلك فيكفيه فيها تعديل الأئمة العدول لرواتها بعد أن يعرف مذاهبهم في الجرح والتعديل، وأنها مذاهب صحيحة.

ومعظم هذه الشروط يشتمل عليه ثلاثة فنون: الحديث، واللغة، وأصول الفقه، ولقد جمع العلماء آيات الأحكام في غيرما كتاب، وجمعوا الناسخ والمنسوخ في غيرما كتاب، وجمعوا مواقع الإجماع في غيرما كتاب، وأصبحت الأحكام مدونة في كتب الفقه وفي شروح الحديث وكتب التفسير.

وقد انتهى زمن الرواية للحديث وأصبحت الأمة تعتمد على

الكتب المدونة كما تعتمد على آراء أئمة الجرح والتعديل في الرواة، ومع هذا فكتب الرجال موفورة تضم سيرهم وأحوالهم ولا يعسر على طلاب العلم البحث عن رواة أي حديث من الأحاديث.

واللغة العربية وفنونها من نحو وصرف وأدب وبلاغة تدرس في معاهد مصر الدينية وغيرها دراسة دقيقة تكفي لفهم خطاب العرب، كما يدرس أصول الفقه على أدق الوجوه وأكملها، وتدرس الأدلة وشروطها، وغير ذلك مما نص عليه الغزالي ومالم ينص عليه.

وليس مما يلائم سمعة المعاهد الدينية في مصر أن يقال عنها إن ما يدرس فيها من علوم اللغة والمنطق والكلام والأصول لا يكفي لفهم خطاب العرب ولا لمعرفة الأدلة وشروطها، و إذا صح هذا، فيالضيعة الأعمار والأموال التي تنفق في سبيلها!!

ليس الاجتهاد ممكنًا عقلا فقط، بل هو ممكن عادة، وطرقه أيسر مما كانت في الأزمنة الماضية أيام كان يرحل المحدث إلى قطر آخر لرواية حديث، وأيام كان يرحل الرواة لرواية بيت من الشعر، أو كلمة من كلم اللغة، وقد توافرت مواد البحث في كل فرع من فروع العلوم: في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والنحو، والمنطق، وجُمع الحديث كله، ومُيز صحيحه من فاسده، وفرغ الناس من تدوين سير الرواة، وأصبحت كتب هذه الفنون تضمها مكتبات للأفراد والحكومات في كل قطر من الأقطار الإسلامية، وهذا لم يكن ميسورًا لأحد في العصور الأولى، ومذاهب الفقهاء جميعهم مدونة، وأدلتها معروفة.

والواقع أنه في أكثر المسائل التي عُرضت للبحث، وأفتى الفقهاء فيها، لم يبق للمجتهد إلا اختيار رأي من آرائهم فيها، أما الحوادث التي تجدّ فهي التي تحتاج إلى آراء محدثة، و إلى حفظ آيات الأحكام جميعها وأحاديث الأحكام جميعها وفهمها فهمًا صحيحًا، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وحفظ مواقع الإجماع، لا يحتاج إلى المجهود الذي يبذل لفهم مرامي كتاب من كتب الأزهر المعقدة.

إن الزمن لم يغير خلقة الإنسان، والعقول لم تُضمر، والطبيعة باقية في الإنسان كما كانت في العصور الماضية، وهاهم أولاء علماء الأمم يحدوهم الأمل إلى بلوغ أقصى ما يتصوره العقل البشري ويصلون إليه بجدّهم واجتهادهم، وقد كان أسلافهم في عماية وجهل، وكان أسلافنا في نور العلم وضياء المدنية، لم يقل أحد منهم بقصور العزائم، لا بتراخي الهمم عن البحث والتنقيب، بل كلما مر عليهم الزمن جدوا في البحث والتنقيب، وكثرت وسائط البحث والتنقيب.

و إني مع احترامي لرأي القائلين باستحالة الاجتهاد، أخالفهم في رأيهم، وأقول إن في علاء المعاهد الدينية في مصر مَنْ توافرت فيهم شروط الاجتهاد ويحرم عليهم التقليد.

الاجتهاد الخاص

ندع الاجتهاد المطلق وما يقال فيه من غير تبصّر، ونتحدث عما

يسمى الاجتهاد الخاص، أو الاجتهاد الجزئي وهو الاجتهاد في واقعة خاصة للوصول إلى معرفة حكمها الشرعي بالدليل، والقادر على هذا النوع يحرم عليه التقليد في المسألة التي يقدر على الاجتهاد فيها.

وقد اختلف العلماء في تجزؤ الاجتهاد وعدمه، والأكثرون منهم على تجزئه، ومنهم حجة الإسلام الغزالي والشيخ ابن الهمام، وقد استدلوا لذلك بأن التقليد في حال القدرة على الدليل فيه ترك للعلم واتباع للريب وهذا منهي عنه بقوله عليه الصلاة والسلام: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك» وقوله: «استفت قلبك و إن أفتاك المفتون». قال في مسلم الثبوت: ومن له حسن أدب بأحكام اللّه تعالى لا يتعدى هذا الأصل.

وفي *المستصفى* للغزالي: اجتماع هذه العلوم الثمانية إنما يشترط في حق المجتهد المطلق الذي يفتي في جميع الشرع، وليس الاجتهاد عندي منصبًا لا يتجزأ بل يجوز أن يقال للعالم إنه مجتهد في بعض الأحكام دون بعض ، فمن عرف النظر القياسي فله أن يفتي في مسألة قياسية و إن لم يكن ماهرًا في علم الحديث، ومن عرف أحاديث قتل المسلم بالذمي، وطريق التصرف فيها فلا يضره قصوره عن علم النحو الذي يعرف به قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ وقس عليه مافي معناه.

وفي كتاب *الإحكام* للآمدي بعد أن نص على شروط المجتهد قال: وذلك كله إنما يشترط في المجتهد المطلق المتصدي للحكم

والفتوى في جميع المسائل، وأما الاجتهاد في بعض المسائل فيكفي فيه أن يكون عارفًا بما يتعلق بتلك المسألة وما لابد منه فيها، ولا يضره في ذلك جهله بما لا تعلق له بها مما يتعلق بباقي المسائل الفقهية.

المكلف إذا حصلت له أهلية الاجتهاد بتمامها في مسألة من المسائل، فإن اجتهد فيها وأدّاه اجتهاده إلى حكم فيها فقد اتفق الكل على أنه لا يجوز له تقليد غيره من المجتهدين في خلاف ما أوجبه ظنه، و إن لم يكن قد اجتهد فقد اختلفوا فيه، والمعتمد أن يقال إن القول بجواز التقليد حكم شرعي لابد له من دليل والأصل عدم ذلك الدليل، فمن ادعاه فعليه البيان.

هذه آراء علماء الأصول في الاجتهاد الجزئي، وهي صريحة في حرمة التقليد على من يقدر على الاجتهاد في وقائع خاصة، سواء أكان المقلد صحابيًا أم تابعيًا أم إمامًا من الأئمة الأربعة أو غيرهم.

وشروط الاجتهاد الجزئي كما يُرى سهلة المنال، فليس على مريد الاجتهاد في مسألة من مسائل البيع أو الطلاق إلا أن يعرف آيات البيع أو آيات الطلاق، وأحاديث البيع أو أحاديث الطلاق، ويعرف ما نسخ منها وما بقي، ويعرف مواقع الإجماع ليتجنب المخالفة بعد أن يكون على بصيرة في فهم اللغة، ونصب الأدلة، وليس عليه أن يحيط بجميع الأدلة وجميع علوم اللغة وفنون المنطق والكلام وآراء الفقهاء. فهل يجوز لمسلم بعد هذا أن يقول إن على المسلمين في

جميع بقاع الأرض تقليد واحد من الأئمة الأربعة دون سواهم و إلا كانوا آثمين جاهلين خارقين للاجماع؟!

وسأعرض لهذا الشيء المبتدع الذي سموه إجماع المحققين لأبين منزلته ومكانه بين الأدلة الشرعية، ولأكشف عن بصائرالناس هذا الغطاء الذي حجب عنهم نورالحق.

التقليد

العامي ومن ليس له أهلية الاجتهاد، و إن كان محصلًا لبعض العلوم المعتبرة في الاجتهاد يجب عليه اتباع قول المجتهد والأخذ بفتواه، واتفقوا على جوازاستفتائه لكل من عرف بالعلم وأهلية الاجتهاد والعدالة.

قال الآمدي: و إذا حدثت للعامي حادثة، وأراد الاستفتاء عن حكمها فإن كان في البلد مفت واحد وجب عليه الرجوع إليه والأخذ بقوله، و إن تعدد المفتون، فمن الأصوليين من ذهب إلى أنه يجب عليه البحث عن أعيان المفتين واتباع الأورع والأعلم والأدين، ومنهم من ذهب إلى أنه مخيربينهم يأخذ برأي من شاء منهم سواء أتساووا أم تفاضلوا وهو المختار.

و إذا اتبع العامي بعض المجتهدين في حكم حادثة وعمل بقوله فيها فليس له الرجوع عن ذلك القول في هذه المسألة، وهل له اتباع غيره في غيرذلك الحكم؟ اختلفوا فيه، فمنهم من منعه، ومنهم من

أجازه، وهو الحق نظرًا إلى ما وقع عليه إجماع الصحابة من تسويغ استفتاء العامي لكل عالم في مسألة، ولم ينقل عن أحد من السلف الحجر في ذلك، ولو كان ممتنعًا لما جاز من الصحابة إهماله.

و إذا عين العامي مذهبًا معينًا كمذهب الشافعي أو أبي حنيفة أو غيره، وقال أنا على مذهبه وملتزم له، فهل له الرجوع إلى قول غيره في مسألة من المسائل؟ اختلفوا فيه فجوّزه قوم ومنعه آخرون، والمختار التفصيل ، وهو أن كل مسألة من مذهب الأول اتصل بها عمله فليس له تقليد الغير فيها، ومالم يتصل عمله بها فلا مانع من اتباع غيره فيها.

وفي *التحرير* وشرحه: لا يرجع المقلّد فيما قلّد فيه، أي عمل به، اتفاقًا. ذكره الآمدى، قال الزركشي: وليس الأمر كما قال، ففي كلام غيره ما يقتضي وجود الخلاف بعد الفعل، وكيف يمتنع ذلك عليه إذا اعتقد صحته، وعلى هذا فإذا تعارض قولا مجتهدين يجب التحرّى فيهما، والعمل بما يقع في قلبه أنه الصواب وليس له الرجوع عما عمل به إلا إذا ظهر له خطؤه.

ولو التزم مذهبًا معينًا فقيل يلزم وقيل لا، وهو الأصح، لأن التزامه غير ملزم، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة فيقلّده في دينه في كل ما يأتي ويذر دون غيره، وقد انطوت القرون الفاضلة على عدم القول بذلك، وصرح العلائي بأن المشهور

في كتب المذهب جواز الانتقال في آحاد المسائل والعمل فيها بخلاف مذهب إمامه الذي يقلّده إذا لم يكن ذلك على وجه التتبع للرخص.

وفي *التحرير* وشرحه نقل الإمام في *البرهان* إجماع المحققين على منع تقليد العوام أعيان الصحابة، وأن عليهم أن يقلّدوا الأئمة الذين جاءوا بعد الصحابة، لأنهم دونوا وهذّبوا وفصّلوا وبوّبوا وأوضحوا طرق النظر، وعلى هذا بنى ابن الصلاح وجوب تقليد الأئمة الأربعة لانضباط مذاهبهم وتحرير شروطها، وغير ذلك مما لم يعلم مثله في غيرهم، وحاصل هذا أنه امتنع تقليد غيرهم لتعذر نقل حقيقة مذهبهم، وعدم ثبوته حق الثبوت، لا لأنه لا يقلّد، ولذلك قال ابن عبد السلام: إنْ تحقق ثبوت مذهب عن واحد منهم جاز تقليده وفاقًا وإلا فلا، وإذا صحّ عن بعض الصحابة حكم لم يجز مخالفته إلا بدليل أوضح من دليله، ومعلوم أنه لا يشترط أن يكون للمجتهد مذهب مدوّن، وأنه لا يلزم أحدًا أن يتمذهب بمذهب أحد الأئمة بحيث يأخذ أقواله كلها ويدع أقوال غيره انتهى بتصرف.

وفي *مسلم الثبوت* وشرحه بعد أن نقل ما في *التحرير* وشرحه من إجماع المحققين ورأي ابن الصلاح:

قال القرافي: انعقد الإجماع على أن من أسلم فله أن يقلّد من شاء من العلماء من غير حجر، وأجمع الصحابة رضى الله عنهم على أن من استفتى أبا بكر وعمر أميري المؤمنين فله أن يستفتي أبا هريرة

ومعاذ بن جبل وغيرهما، فمن ادّعى رفع هذين الإجماعين فعليه البيان، وقد بطل بهذين الإجماعين قول الإمام (يريد بذلك قوله إن المحققين أجمعوا على منع تقليد أعيان الصحابة).

وقوله أجمع المحققون ليس معناه الإجماع الذي هو حجة حتى يقال أن إجماعهم عارض الإجماعين السابقين. وفي كلام الإمام خلل آخر: لأن التبويب والتهذيب والتفصيل، لا دخل له في التقليد، فإن المقلد إن فهم مراد الصحابي عمل به و إلا سأل مجتهدًا آخر، وبهذا بطل قول ابن الصلاح أيضًا. وفي كلامه خلل آخر: إذ المجتهدون الآخرون أيضًا بذلوا جهدهم مثل بذل الأئمة الأربعة، و إنكار هذا مكابرة وسوء أدب، والحق أنه إنما منع من تقليد غيرهم لأنه لم تبق رواية مذهبهم محفوظة حتى لو وجدت رواية صحيحه من مجتهد آخر يجوز العمل بها، ألا ترى أن المتأخرين أفتوا بالتحليف للشهود إقامة له مقام التزكية على مذهب ابن أبي ليلى؟

أطلنا في بيان النصوص في هذه المسألة لنجلي الحق فيها، ولنبرهن على صحة ما قلناه في مذكرة المشروع من خطأ القول بعدم جواز تقليد غير الأئمة الأربعة، ومن أن هذا رأي حادث في الأمة الإسلامية لم يقله أحد قبل ابن الصلاح، وهو رأي خاطئ مبنيّ على خطأ.

كان المسلمون مجمعين على جواز تقليد أي عالم من علماء المسلمين، فجاء الإمام ونقل إجماع المحققين على منع تقليد أعيان

الصحابة، لأنه ليس في وسع العامي أن يعرف غرضهم، وأن يفهم مقصودهم، ثم رتّب ابن الصلاح على هذا وجوب تقليد الأئمة الأربعة دون سواهم، وبذلك نسخ حكم الإباحة الذي كان مستفادًا من إجماع المسلمين برأي ابن الصلاح المبني على إجماع المحققين.

ابن الصلاح هذا فقيه مقلّد فكيف يؤخذ برأي فقيه مقلّد ليس واحدًا من الأئمة الأربعة، وكيف ينسخ الإجماع برأي واحد لا يصح تقليده ولا الأخذ بقوله.

ليس لإجماع المحققين قيمة بين الأدلة الشرعية، فهي محصورة: كتاب اللّه وسنة رسوله، و إجماع المجتهدين، والقياس على المنصوص، ولم يعدّ أحدٌ من الأدلة الشرعية إجماعُ المحققين، فكيف برز هذا الإجماع، وأخذ مكانته بين الأدلة، وأصبح يقوى على نسخ إجماع المسلمين؟

لم نعرف أحدًا من العلماء، تكلم عن إجماع المحققين، وشروطه، وطريقة نقله، وهل هو ممكن أو مستحيل، وهل يمكن نقله، وهل يكفّر مخالفه، وغير ذلك من القواعد التي وضعها العلماء لإجماع المجتهدين، فكيف مع هذا نأخذ من إجماع المحققين أحكامًا شرعية تحصر الدين الإسلامي جميعه في أشخاص أربعة بعد أن كان الفقهاء لا يمكن عدّهم في جميع العصور الماضية؟!

الإجماع الذي هو حجة معروف في كتب الأصول أنه اتفاق جميع مجتهدي عصر من العصور على حكم شرعي ظني، وليس

يعنينا الآن أن نبين إمكانه واستحالته، و إمكان نقله وعدم إمكانه، فهذا لا يدخل في بحثنا الآن، ولكن نذكر شيئًا واحدًا وهو أن محققي العلماء يرون استحالة الإجماع ونقله بعد القرون الثلاثة الأولى نظرًا لتفرق العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، واستحالة الإحاطة بهم وبآرائهم عادة، وهذا رأي واضح كل الوضوح لا يصح لعاقل أن ينازع فيه.

و إذا كان هذا واضحًا بالنسبة لإجماع المجتهدين - وهم أقل عددًا بلا ريب من المحققين - فكيف عرف إجماع المحققين على منع تقليد أعيان الصحابة؟ وكيف أمكن نقل هذا الإجماع؟

ولندل على رأي الأئمة في الإجماع، نثبت هنا ما قاله الإمامان الجليلان الشافعي وأحمد رضي اللّه عنهما: قال الشافعي في الرسالة: مالا يعلم فيه خلاف فليس بإجماع. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول ما يدّعى فيه الرجل الإجماع فهو كذب، من ادّعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس اختلفوا، ما يدريه ولم ينته إليه؟ فليقل: لا نعلم أنّ الناس اختلفوا.

هذا ونصوص رسول الله (صلى الله عليه وآله) أجلّ عند العلماء من أن يقدّموا عليها توهّم إجماع مضمونه عدم العلم بالمخالف ، ولو ساغ ذلك لتعطّلت النصوص، وساغ لكل من لم يعلم خلافًا في حكم مسألة أن يقدم جهله بالمخالف على النصوص.

ولكن ضعفاء الأحلام، ومن لم ينضج علمهم صاروا يدعون

الإجماع عند عدم العلم بالمخالف قبل البحث عنه، ولم يكف الناس ماهم فيه من شر ادعاء الإجماع كذبًا حتى زادوا لهم شيئًا سموه إجماع المحققين.

والخلاصة أنه يجوز تقليد غير الأئمة الأربعة متى صحّ النقل عن غير الأئمة الأربعة، ومما ينبغي الإشارة إلى فساده ماقاله صاحب *الأشباه*، وهو: «الخامس مما لا ينفذ القضاء به ما إذا قضي بشيء مخالف للإجماع وهو ظاهر، وما خالف الأئمة الأربعة مخالف للإجماع، و إن كان فيه خلاف لغيره، فقد صرح في *التحرير* أن الإجماع انعقد على عدم العمل بمذهب مخالف للأربعة لانضباط مذاهبهم، وانتشارها، وكثرة أتباعهم» فإن هذا مبني على اعتبار حصول الإجماع، وهو غير صحيح. لأن الذي حصل هو قول ابن الصلاح بالمنع بناء على إجماع المحققين، وقد عرف مافي هذا كله من الفساد.

توظيف الشعر في خلق جوّ من الحبّ والودّ و إزالة الحواجز النفسية أمر مهمّ. ويمكن أن ينهض الشعر بهذه المهمّة. **لابدّ من تجاوز الحواجز**. تجاوز الحواجز القومية أسهل طبعًا من معالجة الحواجز المذهبية. المسائل المذهبية تحتاج إلى دقّة بالغة في معالجتها. على أي حال **اتحاد العالم العربي والعالم الإسلامي أمر حياتي وضروري**، نأمل أن يتحقق بإذن الله تعالى.

الإمام الخامنئي

الشهيد الصدر
والثورة الإسلامية في إيران

حسن التل*

الشهيد والثورة

يمكن القول إن موقف السيد الشهيد محمدباقرالصدررضوان الله عليه الداعم للثورة الإسلامية في إيران قبل وبعد انتصارها هوأحد أكبرالأسباب التي أدت إلى استشهاده في ظروف غاية في الخطورة كان الإمام الصدريقدّرها ويعرف مؤديات تفاصيلها تمامًا، غيرأن توطين نفسه للشهادة بإخلاص كبيروتسليم إلى الله تعالى وانقياد كلي إلى أوامره جل وعلا، وما وعد الشهداء من كرامة في الدنيا وفي الآخرة، هيأ عنده استعدادًا منقطع النظيرلتحدي السلطة بكل قوتها وعنفها ولمقاومة ترهيبها وترغيبهًا متخطيًا الصعاب التي لايتخطاها عادة الامن ذاب في الله ونذرنفسه في سبيله وعاش لأجل الإسلام ومبادئه و إقامة حكمه على الأرض.

---

*- باحث وكاتب صحفي من الاردن، توفي رضوان اللّه عليه في طهران خلال أيام حضوره مؤتمرالشهيد الصدر، ونقل جثمانه إلى الاردن في طائرة خاصة، وشيّع تشييعا يليق بمكانته العلمية والصحفية والرسالية، وأقيمت له مجالس تأبين ضخمة في الاردن و إيران.

وهو ما كان الشهيد الصدر يمثّله بحق، فنال الشهادة وأصبح دمه منذ استشهاده إدانة يومية للطغاة ومشعلًا يضيء درب الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة لا إله إلا الله في الأرض.

وقد تمثل موقف الشهيد الصدر الداعم للثورة الإسلامية في عدة اتجاهات تصب كلها في مجرى واحد هو العمل على إقامة الحكم الإسلامي حتى لو كان في إيران وليس في العراق، فلقد كانت أمنية الصدر أن تقوم دولة إسلامية عادلة بقيادة مرجعية صالحة رشيدة موضوعية، وهو ما حدث في إيران فكان الشهيد الصدر أبرز من وقف موقف الذائب في الثورة الإسلامية في إيران والذائب في مرجعية الإمام الخميني الراحل كما سيتبين أثناء البحث.

ويبرز موقف الشهيد الصدر من الثورة الإسلامية في إيران في اتجاهات ثلاثة:

الأول: دعمه لمرجعية الإمام الخميني

الثاني: دعمه لكفاح الشعب الإيراني المسلم

الثالث: دور فكره في الثورة الإسلامية في إيران

وسنعرض لكل واحد من هذه الاتجاهات مع التفاصيل الضرورية المتعلقة بكل منها.

أولا: دعم الشهيد الصدر لمرجعية الإمام الخميني

كانت تربط الإمام الخميني والشهيد الصدر رضوان الله عليهما

علاقة قوية هي علاقة العالم بالعالم والثوري بالثوري والمجاهد بالمجاهد، فلم يكن خافيًا موقف الإمام الخميني من الشاه ودوره الكبير في الجهاد ضد نظامه الفاسد، كما لم تكن مرجعيته الكبيرة بين المرجعيات الأخرى غائبة أو تستظل بظلالها، كذلك لم يكن الشهيد الصدر بعيدًا عن نظر الإمام الخميني وإعجابه به بوصفه مفكرًا إسلاميًا لامعًا وعبقريًا من عباقرة العصر في كل ما كتب وأنتج من العلوم والمعارف، **بل إن بينه وبين الشهيد مرتضى المطهري شبهًا كبيرًا**، وكان المطهري وهو أحد تلاميذ الإمام الخميني، وكان كابنه عبقريًا آخر من عباقرة هذا العصر علمًا ومعرفة وثورية وانقيادًا مطلقًا إلى الله تعالى حتى نال درجة الشهادة بعد انتصار الثورة بشهرين تقريبًا، **فكما كان الإمام الخميني يحب تلميذه البار المطهري كان يحب الشهيد الصدر ويقدّره لما عرف فيه من نبوغ وتعال عن الذاتية ودعم كبير للتوجهات الثورية لإقامة حكم الإسلام**، وهو ما كان الإمام الخميني يسير في الاتجاه نفسه بغية تحقيقه.

ولقد كان للشهيد الصدر مواقف مشرّفة في دعم مرجعية الإمام الخميني قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعده إلى حين استشهاده رضوان الله عليه، وهو مصر على دعمه للإمام ولثورته الإسلامية ولدولته الإسلامية المباركة التي كان يعدها الشهيد الصدر هدفًا وغاية، وبعد أن تحققت فلم يعد يهمه شيء ووطّن نفسه على

الشهادة وهو مطمئن إلى أن الإسلام عاد إلى الحياة السياسية قويًا، وليس مهمّا أين يكون في إيران أو في العراق أو في أي مكان إسلامي، وفي ذلك ما فيه من انتصار على الذاتية وذوبان في الهدف الكبير الذي طالما عبّر عنه السيد الشهيد في بياناته وخطاباته وتصريحاته أنه مستعد لأن يكون جنديًا ينفّذ أوامر الإمام الخميني، وهو خلق العلماء الذي يندر أن يبرز على هذا المستوى الإنساني الكبير.

ولعل في ما يرويه سماحة السيد كاظم الحائري وهو من تلاميذ الشهيد المقربين في القصة التالية خير دليل على دعم السيد الشهيد لمرجعية الإمام الخميني في وقت مبكر جدًا.

فلقد أراد السيد الشهيد أن يضع خطة للفداء والتضحية والاستشهاد يقوم بها هو على رأس طلابه آملا بأن تحدث هذه الواقعة هزة في المجتمع بعد أن تتناثر دماؤهم في الصحن الحيدري في النجف. يقول السيد الشهيد لتلميذه السيد كاظم الحائري:

«والخطة التي أرى ضرورة تطبيقها اليوم هي أن أجمع ثلة من طلابي ومن صفوة أصحابي الذين يؤمنون بما أقول ويستعدون للفداء ونذهب جميعًا إلى الصحن الشريف متحالفين فيما بيننا على أن لانخرج من الصحن أحياء، وأنا أقوم خطيبًا بينهم ضد الحكم القائم وتدعمني الثلة الطيبة الملتفة من حولي ونثور بوجه الظلم والطغيان، فسيجابهنا جمع من الزمرة الطاغية ونحن نعارضهم، ولعله

قال ونحمل السلاح إلى أن يضطروا إلى قتلنا جميعًا في الصحن الشريف، وسأستثني ثلة من أصحابي عن الاشتراك في هذه المعركة كي يبقوا أحياء من بعدي ويستثمروا الجو الذي سيحصل نتيجة لهذه التضحية والفداء».

قال(رحمه الله): «إن هذا العمل مشروط في رأيي بشرطين:

الشرط الأول: أن يوجد في الحوزة العلمية مستوى من التقبل لعمل من هذا القبيل أما لو أطبقت الحوزة العلمية على بطلان هذا العمل وكونه عملًا جنونيًا أو مخالفًا لتقية واجبة فسوف يفقد هذا العمل أثره في نفوس الأمة ولا يوفي ثماره المطلوبة.

الشرط الثاني: أن يوافق أحد المراجع الكبار مسبقًا على هذا العمل كي يكتسب العمل في ذهن الأمة الشرعية الكاملة».

ويروي السيد الحائري أن الشرط الاول لم يتهيأ حسب ما رواه الشيخ محمد مهدي الآصفي للسيد الشهيد وكان الآصفي مرسلا من قِبله إلى الحوزة.

يقول الحائرى: «وأما الشرط الثاني فرأى أستاذنا الشهيد رحمه الله أن المرجع الوحيد الذي يترقب بشأنه أن يوافق على فكرة من هذا القبيل هو الإمام الخميني الذي كان يعيش وقتئذ في النجف الأشرف، فلا يصح أن يكون هذا العمل من دون استشارته فذهب هو رضوان الله عليه إلى بيت السيد الإمام الخميني فبدا على وجه الإمام الخميني التألم وأجاب عن السؤال بكلمة لا أدري

وكانت هذه الكلمة تعني أن السيد الإمام الخميني كان يحتمل أن تكون الخسارة التي ستوجه إلى الأمة من جراء فقد هذا الوجود العظيم أكبر مما قد يترتب على هذا العمل من الفائدة.

وبهذا وذاك تبين أن الشرطين مفقودان فعدل أستاذنا الشهيد رحمه الله عن فكرته وكان تاريخ هذه القصة بحدود عام ١٣٩٠ هـ أو ١٣٩١ هـ ولعل التاريخ الصحيح هو سنة ١٣٩٤ هـ»[1].

إن توجه السيد الشهيد إلى بيت الامام الخميني للحصول على موافقة على فكرة الفداء لم يكن فقط من باب الخط الثوري للإمام الخميني و إنما كان أيضًا لما يرى فيه من مرجعية لو حصل ووافق على الفكرة لكان لها رد فعل كبير الأثر في الناس، ومن هنا ندرك مدى ما للإمام الخميني من مكانة عند السيد الشهيد وهي مكانة خارج إطار الامور الشخصية والعواطف والمجاملات بل متأتية من مسيرة الرجل ودوره المرجعي والثوري سواء داخل إيران أو خارجها، ورجل مثل السيد الشهيد لم يكن ليقصد الإمام الخميني للحصول على موافقته على الفكرة لولا أن الإمام الخميني أهل لذلك الموقف من جوانب كثيرة وأسباب موضوعية.

ولقد كان الشهيد في خطه الجهادي مستعدًا للتنازل عن وجوده

١- الشيخ محمدرضا النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، الطبعة الثانية ١٤١٧/١٩٩٧ ص١٣٤ وما بعدها نقلا عن السيد كاظم الحائري ، مباحث الاصول ج١ ص٤٩.

الاعتباري وللذوبان في أية مرجعية صالحة تخدم الإسلام، وكان في كل مرة يشيرإلى الإمام الخميني كمثال بارز للمرجعية التي ينبغي الذوبان فيها فلقد خاطب مرة خاصة طلابه في اجتماع خاص بهم قائلا:

«يجب عليكم أن لاتتعاملوا مع هذه المرجعية (وقصد مرجعيته) بروح عاطفية وشخصية وأن لاتجعلوا ارتباطكم بي حاجزًا عن الموضوعية بل يجب أن يكون المقياس هو مصلحة الإسلام فأي مرجعية أخرى استطاعت أن تخدم الإسلام وتحقق له أهدافه يجب أن تقفوا معها وتدافعوا عنها وتذوبوا فيها فلو أن مرجعية السيد الخميني مثلا حققت ذلك فلا يجوزأن يحول ارتباطكم بي عن الذوبان في مرجعيته»[1].

وحسب الشيخ محمدرضا النعماني فإن كلام السيد الشهيد أعلاه كان قبل انتصارالثورة الإسلامية في إيران بعشرسنوات تقريبا[2].

إن تأكيد السيد الشهيد على مرجعية الإمام الخميني وضرورة الذوبان فيها في وقت مبكرليعبرعن أهمية هذه المرجعية في خدمة الإسلام ويعبرعن صواب نظرالسيد الشهيد وتقديره لهذه المرجعية الكبيرة.

١- المرجع نفسه ص١٦٣.

٢- المرجع نفسه ص١٦٣.

ويذكر الشيخ النعماني من صور الدعم التي قدمها السيد الشهيد للإمام الخميني أن السيد الشهيد ذهب إلى بيت الإمام لزيارته وتوديعه بعد أن علم أن الإمام الخميني قرر مغادرة العراق ورغم أن هذا التوديع لم يتم حيث كان الإمام قد غادر النجف في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم فإن السيد الشهيد رحمه الله قد دخل المنزل وجلس مع بعض من كان فيه من المرتبطين بالسيد الإمام رحمه الله مظهرًا لهم التأييد والمساندة رغم تطويق قوات الأمن للمنزل ومراقبة من يتردد عليه.

وهذا الموقف اعتبرته السلطة من المواقف التي أدانت بها السيد الشهيد رضوان الله عليه في الاعتقال الذي تعرض له في انتفاضة رجب وكان قد عطل أبحاثه في ذلك اليوم وقال:

«إن رحيل السيد الخميني من النجف خسارة كبيرة»[1]

إن من قُدّر له أن يعيش تلك الفترة في العراق أو يتابع الأمور حتى لو كان خارج العراق يدرك مدى الشجاعة التي يمتلكها السيد الشهيد وهو يزور مرجعًا مثل الإمام الخميني كان يمثل للسلطة في العراق كما يمثل للسلطة في إيران خطرًا لا ينبغي التهاون معه، ولذلك فإن السيد الشهيد قد واجه عنتًا كبيرًا من رجال الأمن في العراق بسبب زيارته لمنزل الإمام الخميني التي تعني بوضوح تأييدًا له ودعمًا له وتحديًا للسلطة وخروجًا على المألوف، ولقد ظلت هذه

١- المرجع نفسه ص١٦٣ ـ٢٥٠.

الزيارة بالإضافة إلى مواقف دعم السيد الشهيد للإمام الخميني بصورة عامة سيفًا يشهره رجال الأمن والسلطة في العراق بوجه السيد الشهيد حتى استشهاده.

ويورد الشيخ النعماني ما كتبه السيد الشهيد بخطه الشريف في الرسالة التي وجهها إلى طلابه في إيران في أوائل انتصار الثورة الإسلامية وفيها عِبَر كبيرة وتجارب عظيمة لكل من أراد التصدي للعمل الحركي بل ولكل مسلم مهما كان موقعه ومكانته.

وهنا مقاطع من تلك الرسائل البليغة التي يعجز القلم عن التعليق عليها وهي بذاتها قطع استوفت شروط الوصول إلى متلقيها على اختلاف أشخاصهم:

«إن الواجب على كل أحد منكم وعلى كل فرد قدرله حظه السعيد أن يعيش في كنف هذه التجربة الإسلامية الرائدة أن يبذل كل طاقاته وكل ما لديه من إمكانات وخدمات ويضع ذلك كله في خدمة التجربة فلا توقف في البذل، والبناء يشاد لأجل الإسلام ولا حد للبذل والقضية ترتفع رايتها بقوة الإسلام.

ويجب أن يكون واضحًا أن مرجعية السيد الخميني التي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لابد من الالتفاف حولها والإخلاص لها وحماية مصالحها والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم».

ويقول رضوان الله عليه:

«لو أن السيد الخميني أمرني أن أسكن في قرية من قرى إيران أخدم فيها الإسلام لما ترددت في ذلك، إن السيد الخميني حقق ما كنت اسعى إلى تحقيقه... »[1]

لقد كان لهذا الدعم المطلق للإمام الخميني من قبل الشهيد الصدر دور كبير في دفع الوعي الثوري لدى الملايين من المتطلعين إلى الثورة الإسلامية سواء داخل العراق أو خارجه وفي إيران تحديدًا نظرًا لقوة حضور السيد الشهيد بوصفه مرجعًا كبيرًا ومفكرًا عملاقًا وثوريًا يتحدى الإرهاب السلطوي، إلى أن دفع ثمن موقفه العظيم هذا باستشهاده رضوان الله عليه وهو مقبل على الشهادة غير مدبر، خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني وهو ما كان الشهيد الصدر يتطلع إليه...

ثانيًا: دعم الشهيد الصدر لكفاح الشعب الإيراني المسلم

أبرزنا بعضًا من الصور الرائعة التي تتجلى فيها مواقف السيد الشهيد الداعمة لمرجعية الإمام الخميني في معظم أطوار مسيرته الجهادية، وننتقل هنا إلى مواقف السيد الشهيد الداعمة لكفاح الشعب الإيراني المسلم سواء كان ذلك الدعم قبل انتصار الثورة الإسلامية أو بعده، ويمكن القول إن السيد الشهيد هو المرجع الوحيد الذي وقف مؤيدًا وداعمًا لتلك الثورة بشكل واضح ومباشر متحديًا

١- المرجع نفسه ص١٦٣-١٦٤.

السلطة في العراق، على خطورة ذلك التحدي وهو ما أدى فعلا إلى استشهاده رضوان الله عليه.

إن جهود السيد الشهيد في مجملها كانت ترمي إلى أن ينتصر الإسلام ويقيم حكومته فالإسلام «**دين الاستقلال والحرية، والصراع ضد الظلم والاستكبار، والسعي نحو العدل والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ريب في أن تنفيذ هذه البرامج يحتاج إلى حكومة إسلامية قوية...**»[1].

ومن الطبيعي أن بوادر الثورة الإسلامية في إيران كانت تلوح وكانت الظروف كلها تشير إلى قرب انطلاقها، والسيد الشهيد الذي كان بؤرة العمل الجهادي التغييري في العراق لم تكن تختلف عنده المسألة في أي من بلاد الإسلام تقوم الثورة، وكان يتوقع قيامها في العراق أو في إيران، وكان موقفه معلنًا صريحًا في حال قيامها في كلا البلدين أو في واحد منهما، وحين قامت الثورة الإسلامية في إيران وأعلن صراحة دعمه لها بكل وسيلة قيل له بأن لايندفع وأن يتريث خوفًا على حياته وعلى مرجعيته ولكنه كان يقول:

«إن هؤلاء الذين يطلبون مني أن أتريث وأن أتخذ موقفًا من الثورة الإسلامية لايثير السلطة الحاكمة في العراق حفاظًا على حياتي

١- حجة الإسلام والمسلمين ابراهيم أميني، الدين والسياسة، مجلة التوحيد الإسلامية الفكرية العدد الرابع السنة الاولى، رمضان شوال ١٤٠٣ ص١٢٤.

ومرجعيتي لايعرفون من الأمورإلا ظواهرها. إن الواجب على هذه المرجعية وعلى النجف كلها أن تتخذ الموقف المناسب والمطلوب تجاه الثورة الإسلامية في إيران. ما هو هدف المرجعيات على طول التاريخ؟ أليس هو إقامة حكم الله عزوجل على الأرض؟ وها هي مرجعية الإمام الخميني قد حققت ذلك فهل من المنطقي أن أقف موقف المتفرج ولا أتخذ الموقف الصحيح والمناسب حتى لو كلفني ذلك حياتي وكل ما أملك؟»[1].

هكذا كان تصميم السيد الشهيد على دعم ثورة الشعب الإيراني المسلم ودعم قيادته ومرجعيته الرشيدة الموضوعية، فلقد كان رضوان الله عليه مؤمنًا بأن النصر لابد وأن يكون حليف المجاهدين المتفانين في الذود عن وجودهم وكرامتهم و إنسانيتهم المضحين من أجل إعلاء كلمة الإسلام.

ويتحدث الشهيد الصدر عن الشعب الإيراني في الرسالة التي بعث بها إلى الإمام الخميني وهو في باريس قبل انتصار الثورة الإسلامية بالقول:

«فإننا في النجف الاشرف إذ نعيش مع الشعب الإيراني بكل قلوبنا ونشاركه آلامه وآماله نؤمن أن تاريخ هذا الشعب العظيم أثبت أنه كان ولا يزال شعبًا أبيًا شجاعًا وقادرًا على التضحية والصمود من أجل القضية التي يؤمن بها ويجد فيها هدفه وكرامته...

١- سنوات المحنة وأيام الحصار، مرجع سابق ص٢٤٨.

ولم يعبرشعب عن حريته النضالية تعبيرًا أوضح وأجلى مما عبّربه الشعب الإيراني المسلم عن هويته الإسلامية في كل ما خاضه من معارك شريفة كانت التعبئة لكل واحد منا تتسم باسم الإسلام، ولئن كان الشعب الإيراني قد عبّرعن هويته النضالية الأصيلة باستمرارفإن نهضته النضالية المعاصرة لهي التعبيرالأروع عن تلك الهوية النضالية المؤمنة التي عبربها الشعب الإيراني عن نفسه ولايزال، وهي من أعظم ذخائرالإسلام وطاقاته التي يملكها في التاريخ الإسلامي الحديث... »[1].

ويذكرالشيخ النعماني بعضًا من مواقف السيد الشهيد بعد انتصارالثورة الإسلامية ومنها:

١ ـ قام رضوان الله عليه بعد أن بلغه نبأ انتصارها باعلان التعطيل لدروسه ابتهاجًا وفرحًا بذلك الحدث التاريخي العظيم وتحدث في البحث الذي أعلن فيه التعطيل عن ضرورة دعمها و إسنادها ووجوب الوقوف معها في السراء والضراء.

٢ ـ وأراد رضوان الله عليه أن يحرك الساحة باتجاه إيجاد تأييد شعبي عام وشامل، فدعا بعض أنصاره إلى تنظيم تظاهرة شعبية لتأييد الثورة الإسلامية في إيران، و إظهارالابتهاج بانتصارها، فهرع الشباب المؤمن فخرجوا بتظاهرة من جامع الخضراء بعد صلاتي المغرب والعشاء، رفع المتظاهرون فيها صورالشهيد والسيد الإمام

١- نفسه ص٢٥١ وما بعدها.

رضي الله عنهما وهي المرة الاولى التي يحدث فيها مثل ذلك في العراق.

٣ .وكتب رضوان الله عليه رسالة إلى طلابه الذين هاجروا إلى الجمهورية الإسلامية في إيران دعاهم فيها إلى بذل كل الطاقات والإمكانات لخدمة الثورة وأكد لهم فيها ضرورة الالتفاف حول مرجعية السيد الخميني(رحمه الله)والعمل على إسنادها ودعمها (نص الرسالة ص٢٥٨) وقد أوردنا مقاطع منها.

٤ ـوفي الفترة التي عمل فيها أعداء الثورة الإسلامية في إيران على إثارة القلاقل والفتن وتحريض عرب إيران على التمرد والعصيان وجه رضوان الله عليه رسالة إليهم دعاهم فيها إلى نبذ الفكرالجاهلي والقومي وطلب منهم الالتفاف حول قيادة الإمام الخميني. (نص الرسالة ص٢٥٨)

٥ ـومن أهم صورالدعم والإسناد للثورة الإسلامية في إيران كتابة حلقات *الإسلام يقود الحياة* وكان سبب تأليفه أنه رحمه الله رأى أن بعض القوى التي برزت على الساحة الإسلامية في إيران بعد انتصارالثورة كانت تشكل خطرًا كبيرًا على الثورة وقال في تلك الفترة لأجل تجاوزهذا الخطريجب أن تطرح رسالة الإمام *توضيح المسائل* كشعاريرفعه كل إيراني ويطالب بتطبيقها»[1].

١- نفسه ص٢٥٦ وما بعدها وفي كتاب الشيخ النعماني صوررائعة لدعم السيد الشهيد للثورة الإسلامية ولقائدها ينبغي الرجوع اليها على إيجازها.

ثالثًا: دورفكرالشهيد الصدرفي الثورة الإسلامية في إيران

لاتسع هذه الوجيزة استعراض جميع صوردعم السيد الشهيد للثورة الإسلامية في إيران ولكن لايمكن إغفال دوروفكرومؤلفات السيد الشهيد في الثورة الإسلامية فرغم الدور البارزللشهيد الصدر على المستويين المباشروالعملي في الثورة الإسلامية الإيرانية والتنظير لها بحيث لقبوه بـ(رفيق الامام الخميني) و(عراب الثورة الإسلامية في إيران) و(خميني العراق) و...، والثورة الإسلامية في إيران مدينة للتعاون والانسجام الفكري بين هذين القائدين لكن هذه الأمور لم تكن فقط نتيجة لعمل الشهيد الصدروأتباعه تجاه الثورة الإسلامية في إيران بل هي نتيجة لمؤلفاته وأفكاره وبياناته[1].

ويستعرض محمدحسين جمشيدي بإيجازبعضًا من مؤلفات الشهيد الصدروأثرها في تنمية الوعي الثوري والفكري بين أبناء الشعب الإيراني المسلم ولا سيما في صفوف طلبة العلم والجامعيين، وينقل جمشيدي عن شائول نجاش قوله: «من جملة الكتب التي كان لها نفوذها الخاص كتاب ***اقتصادنا*** تأليف السيد محمدباقر الصدر... وكان تأثيرالصدرفي إيران كبيرًا جدًا وكان كتابه

١- محمدحسين جمشيدي، دورفكرالشهيد الصدرفي الثورة الإسلامية في إيران، مجلة قضايا إسلامية العدد الثالث ١٤١٧هـ١٩٩٦م ص٢٧٠ ترجمة علاء الرضائي وضم هذا العدد من المجلة ملفًا خاصًا بفكرالسيد الشهيد الصدريجدرالعودة إليه.

مرجعًا للعلماء الإيرانيين الذين كانوا يبحثون عن مسوغ لتقييد الملكية الخاصة وتدخل الدولة في الاقتصاد»[1] هذا بالنسبة لكتاب **اقتصادنا**.

وعن *الإسلام يقود الحياة* وغيره يقول جمشيدي:

فكتاب *الإسلام يقود الحياة* وكذلك *التفسير الموضوعي* والرسائل والبرقيات ما هي الإ مساعٍ لوضع أساس فلسفي فقهي للثورة الإسلامية في إيران ويشتمل كتاب *الإسلام يقود الحياة* على ستة أجزاء:

أ ـ *لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران*، وهذا الكتاب في حقيقته مسودة لدستور الجمهورية الإسلامية في إيران كتبه لكي تستفيد منه القيادة في وضعها للدستور الإسلامي، وقد أرسله إلى الإمام الخميني بواسطة تلميذه البارز السيد محمود الهاشمي، وبعد ذلك كتب بحثًا مشابهًا كان جواب سؤال طرحه عليه جماعة من علماء لبنان حول الحركة الإسلامية...

ب ـ *صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي* ويتضمن الخطوط العامة للاقتصاد الإسلامي وفيما يتعلق بالشعب الإيراني والثورة الإسلامية يقول فيه: «وبعد فإني أشعر باعتزاز كبير يغمر نفسي وأنا أتحدث إلى هذا الشعب العظيم.. إلى هذا الشعب الإيراني المسلم

١- نفسه ص٢٧١ ـ ٢٧٢ مع تفصيلات أخرى مهمة.

الذي كتب بجهاده ودمه وبطولته الفريدة تاريخ الإسلام من جديد، وقدم إلى العالم تجسيدًا حيًا ناطقًا لأيام الإسلام الأولى بكل ما زخرت به من ملاحم الشجاعة والإيمان».

ج ـ خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الإسلامي

د ـ خلافة الإنسان وشهادة الانبياء

هـ ـ منابع القدرة في الدولة الإسلامية

و ـ الأسس العامة للبنك في المجتمع الإسلامي[1].

الصدر والمطهري والثورة الإسلامية

ولاشك في أن المفكر الإسلامي الكبير السيد الشهيد الصدر يلتقي في مجمل طروحاته الفكرية التغييرية مع مفكر إسلامي كبير أيضًا هو الشهيد مرتضى المطهري، الذي كان له هو الآخر وبدرجة كبيرة ومباشرة دور عظيم فكريًا وجهاديًا في إنجاح الثورة الإسلامية في إيران نظرًا لما قدمه من فكر رسالي تغييري أحدث هزات هائلة في عملية الوعي الثوري للشعب الإيراني المسلم.

وقد يكون من الظلم للشهيدين السعيدين هنا أن نجري بينهما مقارنة في المجال الضيق من هذا البحث، إلا أننا نلتمس سبيلًا إلى شيء من تلك المقارنة موجهًا في مدى تأثير فكر كل من الشهيدين في الثورة الإسلامية من خلال استلهام الشعب الإيراني الواعي

١- نفسه ص٢٧١ـ٢٧٢ مع تفصيلات اخرى مهمة.

لفكري الشهيدين لاسيما وأنهما عاصرا معًا كل في موقعه الجغرافي والعلمي أحداث ما قبل انتصار الثورة الإسلامية وقليلًا من أحداث ما بعد الانتصار.

ولعل من الضروري الإشارة أولا إلى أن السيد الشهيد الصدر كان هو الوحيد في النجف الذي تحدى السلطة وأقام مجلس فاتحة على روح الشهيد المطهري وحينها جاءته مجموعة من قبل النظام العراقي وقالوا له إن المطهري رجل إيراني ونحن عرب فأجابهم الصدر: **«لا اهتم بما تؤمنون به ولا أقبل القومية والحدود بين الشعوب هذا موقفي ولن أتنازل عنه»**[1].

لقد وقف كلا المفكرين موقفًا مشرفًا في دعم الثورة الإسلامية ودعم قائدها الإمام الخميني، فالشهيد الصدر تحرك بإرادة كبيرة ومثابرة عجيبة لتدوين مجموعة من الدراسات العميقة التي جاءت دواء للمعضلات المغلقة ولكي يوفر للمجتمع الإسلامي الرؤية التي يقوم على أساسها...

والشهيد المطهري حمل هو الآخر ما يملكه واضعًا إياه على كفيه وقد قدّمه إلى الشعب الإيراني.

لقد كان يؤمن أن الجمهورية الإسلامية هي الأطروحة التي تحقق له أهدافه، لذلك بذل جهودًا كبيرة في طريق صوغ المباني

١- نفسه ص٢٧٣، نقلا عن مقال: اية الله الشهيد الصدر انطلاقة نداء في الامة الإسلامية في العراق، صحيفة كيهان ٨/نيسان/١٩٨٢ العدد ١١٥٤٧ ص١٠.

الإسلامية لهذه الحركة العظيمة وعرضها، لقد وظف رصيده العلمي العظيم في سبيل بيان أهداف الثورة الإسلامية وبرامجها، وقد واجه من خلال هذا الموقف المحسوب الأفكار المنحرفة والباطلة واستبسل في تثبيت حاكمية القيم الإسلامية الاصيلة.

لقد كان هذان العظيمان يعتقدان أن الحركة الفكرية ستبقى عقيمة من دون سند يمثله لها الجهاد الاكبر والحركة المعنوية العميقة والتحول الروحي العظيم[1].

ومن سعادة المفكرين المجاهدين أنهما نالا الشهادة خاتمة لنهجهما الرسالي المخلص وثمنًا لمواقفهما العظيمة في الثورة الإسلامية في إيران. الشهيد الصدر دفع الثمن بسبب موقف السلطة في العراق منه ومن الثورة الإسلامية معًا، والشهيد المطهري دفع الثمن بسبب كشفه الانحرافات والأباطيل وتأكيده على الروح الإسلامية الأصيلة وثمنًا لمسيرته الجهادية والفكرية التي ما توقف عطاؤها حتى انتصار الثورة، ولذلك لم يمهله الظالمون الجناة فأردوه قتيلا مضمخًا بعطر الشهادة بعد شهرين من انتصار الثورة.

الإمام الخميني يصدر بيانًا عن استشهاد الصدر

وكما أصدر الإمام الخميني رضوان الله عليه بيانًا في اليوم التالي

١- خالد توفيق ، اسئلة الذكرى والواقع الفكري الراهن، قضايا إسلامية، مرجع سابق ص٤٠٧.

لشهادة المفكر العظيم مرتضى المطهري واصفًا إياه من جملة ما وصفه قائلا: «و إني و إن خسرت ابنًا عزيزًا كان كبضعة مني ولكني أفتخر، بأن كان في الإسلام وسيكون مثل هذا الابن المجاهد»[1] فإنه رضوان الله عليه أصدر بيانه التاريخي باستشهاد الإمام الصدر وأخته العلوية بنت الهدى ومما جاء في البيان:

«تبين ـ ببالغ الأسف ـ (...) أن المرحوم آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر وشقيقته المكرمة المظلومة والتي كانت من أساتذة العلم والأخلاق ومفاخر العلم والأدب قد نالا درجة الشهادة الرفيعة على أيدي النظام العراقي(...) وذلك بصورة مفجعة فلا عجب لشهادة هؤلاء العظام الذين أمضوا عمرًا من الجهاد في سبيل الأهداف الإسلامية على أيدي أشخاص جناة قضوا حياتهم بامتصاص الدماء والظلم و إنما العجب هو أن يموت مجاهد و طريق الحق في الفراش دون أن يلطخ الجناة أيديهم الخبيثة بدمائهم»[2].

وهكذا يقدم الإمام الخميني وفاء بوفاء ويضرب المثل الأعلى للمرجعية الصالحة التي لاتتنكر لمواقف المجاهدين الداعمين لتلك المرجعية وللثورة الإسلامية العظيمة خاصة وللإسلام عامة.

١- من بيان الإمام الخميني عن استشهاد الشيخ مرتضى المطهري.

٢- من بيان الإمام الخميني عن استشهاد الإمام السيد محمد باقر الصدر وأخته العلوية بنت الهدى.

الشيخ ابن باديس
في تصور مفدي زكريا*

مولود عويمر**

تربط مفدي زكريا المنخرط مبكرًا في النضال الوطني في صفوف حزب الشعب الجزائري صلة قوية بالحركة الإصلاحية بشكل عام وجمعية العلماء الجزائريين بشكل خاص والتي كانت تمثل في نظره: «أعظم مؤسسة جزائرية بارزة تحمل المثل الأعلى للجهاد والتضحية في سبيل هذا الشعب المكتوف اليدين، المغلول الرجلين، المفيد اللسان، المغلوب على أمره، المحروم من كل شيء في هذا الوجود».

وقد وضع مفدي زكريا مشروعًا لتأسيس «جمعية التوحيد» لجمع شمل التيارات الفكرية والدينية الجزائرية واقترح الشيخ الطيب العقبي ممثل العلماء في الجزائرالعاصمة رئيسًا لها.وتراسل في هذا الشأن الرجلان غيرأن الشيخ العقبي اعتبرجمعية العلماء تستجيب لكل الأهداف والغايات التي تبنتها جمعية التوحيد فلهذا لا يرى أي مبررلإنشاء جمعية لأخرى. فجمعية العلماء مفتوحة لكل مخلص للجزائرولوحدة أبنائها.

---

*ـ ابن باديس:عالم و مفكر و إحيائي جزائري، ومفدّي زكريا: شاعرالثورة الجزائرية.

** - كاتب جزائري.

ورغم فشل هذا المشروع وعدم تجاوب العلماء معه. بقي مفدي زكريا وفيًا لجمعيتهم ومروجًا لرسالتها ومعرفًا بأعمالها.

نشر زكريا مقالا نثريًا في هذا الشأن وليس قصيدة، كأنه يريد من ذلك أن يقول إن ما كتبه هو من صميم الواقع والتاريخ وليس فيه أي خيال أو عاطفة فهو يؤرخ لمرحلة بموضوعية الباحث وصرامة المؤرخ.

وهذا النص الذي أضعه بين يدي القارئ قد نشره مفدي زكريا في العدد الثامن. الصادر في ماي ١٩٦٠ من مجلة «الفكر» التونسية التي كان يشرف عليها الكاتب والسياسي محمد مزالي.

«ها أنا أعاهدكم على أن أجعل حياتي وقفًا مؤبدًا على الإسلام عموما والأمة الجزائرية خصوصًا ما بقيت الروح. ومن بدل أو خان فليطبق عليه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

ذلك هو القسم الذي أقسم به ابن باديس يوم أن رجع من تونس حاملا شهادة العالمية فجلس بقسنطينة عام ١٩١٢ يبني العقول وينشئ الأجيال و إنه لقسم لو تعلمون عظيم!

فهل وفي عبدالحميد بما عاهد الله والأمة عليه؟

لم يكن ابن باديس مصلحًا دينيًا فحسب، ولا وطنيًا صادقًا وصحافيًا واعيًا فقط كما يقولون.

إن ابن باديس كان أمة. إن ابن باديس كان أبا لجيل. ذلك الجيل الصاعد الذي ابتدأ سنة ١٩٢٥ بالثورة على الجهالة والضلال وانتهى ١٩٥٤ بالثورة على السلاسل والأغلال.

إنه يفتخر بهذه الأبوة، إنه يقول: «أنا لم أنجب أطفالاً ولكني أب. لأن كل الجزائريين أبنائي».

ولنترك التاريخ يتحدث.

ولد ابن باديس في قسنطينة عام ١٨٨٩ في أحضان عائلة مترفة تتمتع بمركز اجتماعي ممتاز. وكان والده محمد مصطفى من أغنياء البلاد ووجهائها المحظوظين ولو شاء عبدالحميد لعاش مثل أبيه وأفراد عائلته في بحبوحة من العيش ووفرة من الثراء وجانب من تقدير السلطة الحاكمة. وأن يبقى مدلّلا كما كان صبيًا. وأن لا يحرق مخّه وينهك جسمه بالعمل الفكري الكادح. وكان في إمكانه أن يتمتع بحياة الزوجية الدافئة ككل أضرابه من أبناء الذوات المترفين، ولكنه استقبل الحياة يوم أن استقبلته الحياة وهو يصرخ في وجهها: **خلقت للجزائر وسأعيش للجزائر.**

أدخله والده أحد الكتاتيب القرآنية وهو في الخامسة من عمره فحفظ القرآن على الشيخ محمد المداسي. ثم درس العلوم الدينية في قسنطينة على الشيخ حمدان الونيسي وقد كان يحذره من الالتحاق بأي وظيفة. وهي أغلى نصيحة سمعها في حياته.

أرسله والده مصطفى إلى تونس ليأخذ نصيبه الأوفى من المعارف

فعكف على التحصيل وأتم دراسته سنة ١٩٠٨ حيث تحصل على الشهادة العليا ـ العالمية من جامع الزيتونة بعد شهادة التطويع ثم رجع إلى قسنطينة.

وسافرإلى البقاع المقدسة سنة ١٩١٢ لأداء فريضة الحج وطاف بالأقطارالعربية سوريا ولبنان ومصرواتصل بعلماء هذه الأقطار. وأجازه المرحوم محمد بخيت في مصر إجازة العالمية. وفي رحلته هذه التقى في الحجازبكل من الشيخين البشيرالإبراهيمي والطيب العقبي، حيث كان الأول مدرسًا بسوريا والثاني بالمدينة. وهناك اتفق الثلاثة على القيام بحركة إصلاحية بالجزائرلإنقاذ الأمة من براثين أولئك المشائخ الذين سخّروا الجزائرلفائدة المستعمرين بنشر الضلالات والأوهام وتخديرالعقول.

وبمجرد رجوع ابن باديس إلى قسنطينة سنة ١٩١٣ انتصب بالجامع الأخضرللتدريس والدعوة للإصلاح فكان يقوم بإلقاء (١٢) درسًا يوميًا.وقد ابتكرطريقة جديدة لتفسيرالقرآن كان قد ابتكر مثلها الشيخ رشيد رضا بمصر.

و إلى جانب اجتهاده في الحقل الإصلاحي فتح واجهة جديدة للكفاح القلمي فأنشأ بقسنطينة جريدة المنتقد سنة ١٩٢٥ قامت بحملات صادقة ضد سياسة فرنسا التعسفية بالجزائر. و إذ لم يتسع لها الجو السياسي المتعفن لفظت أنفاسها على يد مديرالشؤون الأهلية في العدد الثامن عشرمنها.وخلفتها جريدة الشهاب يوم ١٢ نوفمبر

سنة ١٩٢٥ ثم تطورت إلى مجلة يوم ٢٣ أوت سنة ١٩٢٦.

كان من البديهي أن تتضايق الحكومة الاستعمارية في الجزائر من هذه الحركة وأن تعتبرها ـ كما هي في الواقع ـ حركة خطيرة ترمي إلى تحرير الأفكار والعقول من الاستعمار العقائدي المريع الذي ظل ردحًا من الزمن يحجب العيون عن المعرفة والحقيقة والنور، ويصد النفوس التي تنهشها المخاوف بأنيابها عن الانطلاق وراء حياة سعيدة وعيش كريم.

صمد ابن باديس الصنهاجي أمام كل معارضة ووقف ساخرًا من الأحداث في نخوة وكبرياء يردد ذلك الصوت الذي يجلجل في أعماقه.

«تستطيع الظروف أن تكيّفنا ولكنها لا نستطيع أبدًا أن تتلفنا»..

فإذا عصرت قلبه الآلام ـ وداعبت روحه الآمال الفساح نظر إلى الأفق اللازوردي في أحضان اللانهاية وقال: **«إن جميع الأبواب يمكن أن تغلق أمامنا ولكن بابًا واحدًا لن يغلق أبدًا هو باب السماء»**.

وأخيرًا انتصرت كلمة الإصلاح على ذبذبة العملاء المخاذيل. وظهر الحق على الظلم والطغيان، وسكنت تلك الأصوات النكراء المحمومة. وانطلقت الفكرة الإصلاحية الوطنية في لهفة وسعورة. وانبعثت كالقذيفة المجنونة تشق طريقها لتنفجر، فإذا **بجمعية العلماء** تبرز من ركام دخانها كالعملاق!

وهذه جريدة «السنة» تبرزباسم الجمعية يوم ١٢ نوفمبر١٩٣٣ لتحمل رسالتها إلى المجتمع الإسلامي العربي عامة و إلى الجزائر خاصة. و إذا بالحكومة تختصر أجلها بعد ١٢ عددًا آخرها في ربيع تلك السنة.لم تقف الجمعية مكتوفة الأيدي إزاء هذا التعطيل الذي أصبح عادة رتيبة. فأصدرت جريدة «الشريعة» يوم ٢٤ من نفس الشهرفكان لها نفس المصيرحيث عطلتها الإرادة بعد ستة أعداد. وخلفتها جريدة الصراط يوم ١١ سبتمبر١٩٣٣. فبعثت بها الحكومة إلى مرقدها الأخيربعد العدد السابع ثم امتنعت الإدارة عن الترخيص للسيد أحمد بوشمال بإصدارجريدة جديدة.

وقد كان مديرًا لجميع جرائد الجمعية، فكان الشيخ محمد خيرالدين هذه المرة مديرًا جريدة «**البصائر**» وصدرعددها الأول بعاصمة الجزائريوم ٢٧ ديسمبرسنة ١٩٣٥ ثم أسندت إدارتها إلى مؤرخ الجزائرالمرحوم الشيخ مبارك الميلي ابتداء من عددها ٤٨.

كانت هذه الجرائد إلى جانب **نادي الترقي** بالجزائر. ميادين فسيحة استطاع أن يقدم فيها **ابن باديس** ومن ورائه **جمعية العلماء**. يخوض معركة الحياة الطاحنة وأن يواكب الحركة الاستقلالية المتبلورة في «**حزب نجم الشمال الإفريقي**» ثم حزب الشعب من بعده وأن تولد بعد كل ذلك من أعماق الغيب جزائرجديدة عرفت كيف تعرب للعالم عما يصرخ في عروقها ويصخب في كيانها بلغة غيراللغة التي اعتاد الاستعمارتأويلها وتحريفها، لغة جديدة

واضحة لا تقبل التأويل، لغة الحديد والنار!

ما كان لعبد الحميد أن يغتر بمناورات سافرة دبرت حوله إبان الحرب العالمية الثانية، ليقول كلمة تأييد لفرنسا وحلفائها ضد الألمان. إنه لا يثق بالاستعمار ولا يطمئن لرجاله. هو يرتاب حتى في كلمة الشهادة إذا طلب إليه المستعمرون أن يقولها: «**أما والله لو قالوا لي قل لا إله إلا الله لما قلتها**». أنتهى ما قاله مفدي زكريا.

لقد كشف هذا النص المجهول لدى الباحثين في الحركة الإصلاحية وتاريخ الشاعر مفدي زكريا عن دور الشيخ عبدالحميد بن باديس في إحياء الدين وبعث اللغة العربية ونشر العلم ومحاربة الاستعباد وتعميق الوعي الوطني وتأسيس الفكر الثوري بشهادة شاعر الثورة الجزائرية ونار معركة التحرير ما تزال مشتعلة.

لا يمكن التوقف عند شخص الشهيد مطهري. ينبغي لمجتمعنا ومنظومتنا الفكرية الإسلامية أن تحقق إبداعات جديدة على أساس إبداعاته وتجديده الفكري. نحتاج أن يكون لنا أمثال مطهري في حياتنا الراهنة؛ لأن الاحتياجات الفكرية تتجدد دومًا. حول الهوية الفكرية والتنويرية للشهيد مطهري ودور هذا الرجل الكبير في زمانه، لم يظهر لحد الآن تعريف جامع على ما أرى. أنجزت طبعًا بعض الأعمال الجيدة ترتبط بكتاباته، ولكن يجب معرفة ما قام به الشهيد مطهري في عقدي الأربعينات والخمسينات في البيئة الفكرية الإيرانية.
الإمام الخامنئي

المطهري والصدر والإحياء الديني

محمد علي التسخيري*

النقطة الأولى:

قبل الحديث عن الموضوع أود أن أذكر أني وفقت للاستفادة من أساتذة كباروعلماء أفذاذ ولكن استاذين جليلين منهم تركا أكبرالأثرفي حياتي العلمية والفكرية بل والروحية وهما المرحوم الإمام الشهيد السيد محمد باقرالصدروالمرحوم آية الله الشهيد المطهري.

ولقد كانا شبيهين إلى حد بعيد في كثيرمن الخصائص ومنها:

- تقارب الشهادتين.
- الجهاد حتى آخرنفس وعن وعي.
- التنظيروالانتقال من المفردة إلى القانون.
- الموسوعية والتأليف في مختلف الجوانب.
- العمق والاستدلال المتين.
- الاهتمام الجاد بالفلسفة الإسلامية وعرضها بشكل واضح وبناء.

---

*-رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

- التضلع في الفقه.

ـ التعبد العرفاني.

ـ الولاء لأهل البيت (ع).

ـ الاهتمام بقضايا الأمة الفكرية والعملية.

ـ الصحوة الإسلامية العالمية.

ـ الإصلاح الحوزوي في النجف وقم.

ـ التخطيط المستقبلي لبناء المجتمع الإسلامي المطلوب.

ـ الخلق والتواضع الكامل وخصوصًا للعلم والعلماء.

ـ العمل في سبيل الوحدة الإسلامية.

ـ حب ودعم الثورة الإسلاميـــة والإمام الخميني الراحل (قدس) وغيرذلك.

ـ الوقوف بوجه الأفكاراليسارية واليمينية والهجينة ورد عاديتها.

ـ إقـــامة الجسورمع المفكرين والشباب والجامعات وتغذيتهم بالثقافة الإسلامية الأصيلة.

ـ التجديد في الفكرالديني.

النقطة الثانية:

الخطوط الأساسية لدى المرحوم المطهري لعملية تحقيق التجديد الديني

ويمكن تلخيص هدف العملية في أمرين:

١ـ اكتشاف النظرة الأصيلة للدين في مجمل قضايا الحياة.

٢ـ استبعاد الرواسب الدخيلة نتيجة العادات والتقاليد، والبعد الزمني عن عصر النص، والفهم الخاطئ وغير ذلك. وكان يطرح جملة الإمام أمير المؤمنين «ولبس الإسلام لُبس الفرد مقلوبًا».

وقد رسم لتحقيق ذلك خطوطًا كثيرة منها:

١. التأكيد على قدسية الوحي والنص الديني، وفتح المجال أمام نقد الفكر المبتني عليه.

٢ـ التركيز على العقل والبرهنة الصدرائية والتجديد في علم الكلام والربط بين العقل والعلم والدين مع تحديد مجال كل منها.

٣ـ التأكيد على فلسفة العلوم، والأخلاق والتاريخ والعلاقات الاجتماعية، بل وفلسفة أصل الاتجاه الديني.

٤. التأكيد على العودة للمصادر الأصيلة.

٥. تفعيل عملية الاجتهاد في كل النواحي، وتخليصه من ضيق الأفق، و إعطائه المرونة اللازمة.

٦ـ التأكيد على الهدف الإنساني للشريعة، والحكمة العملية والعدالة الاجتماعية، والحرية الإنسانية، والاجتماعية والمعنوية وحقوق الإنسان والفطرة وغير ذلك.

٧ـ التأكيد على التمييز بين المتغير والثابت، وبين رؤية الإسلام وسلوك المسلمين.

٨.التأكيد على إصلاح التعليم الديني والارتقاء بالحوزات العلمية.

٩ـ التأكيد على شمولية الإحياء لمختلف العلوم الإسلامية.

١٠ـ التأكيد على تحسيس المجتمع بالسلوكات الضارة، والأفكار الدخيلة، والشعارات الباطلة، والتفاسير القشرية للإسلام أو التسطيحية للفكر الإسلامي.

١١ـ مناقشة الأفكار والاتجاهات اللاإسلامية من قبيل: القومية الضيقة، الاتجاهات اليسارية، الاتجاهات الالتقاطية التركيبية الغريبة، والمناهج المتأثرة بالفلسفات الغربية والحداثة وأمثالها.

١٢ـ التخطيط لإقامة الجسور بين الدراسات الدينية التقليدية والدراسات الجامعية، ونقل إيجابيات كل منهما للآخر.

١٣ـ الانفتاح على الأفكار المطروحة، وبناء عملية حوارية منطقية معها لاكتشاف المشتركات والإفادة من التجارب الفكرية.

١٤ـ تعميق قضية الوحدة الإسلامية والاهتمام بقضايا الأمة المصيرية كقضية فلسطين، ودفع العلماء للقيام بدورهم كورثة للأنبياء.

النقطة الثالثة:

ما المقصود بعملية التجديد في الفكر الديني؟

يجب أن نستبعد بعض المعاني المرفوضة من قبيل:

١.جعل ما يسمى بالحداثة أو المعاصرة أو القيم الغربية المطروحة

اليوم أصلًا ثابتًا ثم العمل على تغيير التصور الإسلامي الثابت لينسجم معها، أو لوي النصوص الإسلامية الأصيلة لتحقيق هذا الهدف.

٢ـ اتباع المنهج الهرمنوطيقي في فهم النصوص ورفض كل التراث الأصولي القائم على أسس ثابتة بالعقل والنقل وربما شابه هذا الأسلوب ما سمي سابقًا بـ(ما يستحسنه المجتهد دونما دليل) بل هو أسوأ منه لأنه يعطي هذه الصفة للمجتهد وغيره.

٣ـ الخلط بين مراتب الأدلة لتحقيق هدف مسبق مع أن بعض الأدلة مقدم رتبة على غيره.

٤ـ التلفيق بين الفتاوى بشكل يؤدي للتلاعب بمقاصد الشريعة الثابتة.

٥ـ رفض كل التراث السابق للعلماء مع أنه من المعقول على الأقل الاستئناس به والإفادة من النتائج العلمية.

أما المعاني الأيجابية فيمكن أن نذكر منها ما يلي:

١. تغير الأحكام بتغير الموضوعات.

٢ـ استنباط رأي الإسلام في الموضوعات المستحدثة أو الافكار الحديثة كالتعددية والديمقراطية أو حتى بعض النظريات العلمية.

٣. المرونة في تطبيق الإسلام.

٤ـ التصرف الأفضل للحاكم الشرعي في منطقة المباحات أو حتى التكليفيات وفقًا للمصلحة.

٥ـ مراعاة مقاصد الشريعة الكبرى والعدالة والحق والاتجاه الإنساني في الشريعة.

٦ـ مناقشة بعض المسلمات كالاجماعات المعللة وتوجيه النقد للفكرالديني الإسلامي.

٧ـ التفريق بين ما صدرعن المعصوم كإمام وما صدرعنه كحاكم شرعي عام.

٨ـ ملاحظة الترابط بين الأحكام وعدم التركيزعلى البعض دون ملاحظة الآخروالنظرللإسلام كأطروحة.

٩ـ التأكد من عدم تدخل الشروط النفسية والزمكانية عند النقل بالمعنى، والتأكد من عدم وجود قرائن صارفة، وملاحظة دور الزمان والمكان في الأحكام.

١٠ـ اعمال الذوق الشرعي المسلم به والمعتمد على الأدلة الأخرى في ترجيح النصوص.

١١ـ تأويل النص إذا خالف عقلًا أو إجماعًا أو سيرة قطعية معتبرة.

١٢ـ ملاحظة أقسام الأحكام الأولية والثانوية والسلطانية وتقديم ما حقه التقديم.

وغيرذلك.

المنهج النبوي في بناء الوحدة

كيف يمكن تحقيق الوحدة السياسية والاجتماعية في مجتمع يعيش انقسامات حادة على أساس قومي أو ديني ـ مذهبي، أو مناطقي أو قبلي؟

هل يكون ذلك بالمراهنة على تذويب الهوّيات و إلغاء مشاعر الانتماء الخاص؟

أو بغلبة طرف و إخضاعه لسائر الأطراف؟

أم أن هناك أساليب وخيارات أصوب؟

بإمكاننا أن نقرأ في الإنجاز التاريخي الذي تحقق على يد رسول الله (ص)، بقيام الدولة والمجتمع الإسلامي الأول، تجربة ناجحة رائدة على هذا الصعيد.

حيث يجمع المؤرخون أن مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام كان ممزقًا لا يجمعه كيان، ولا يلم شمله نظام، كانوا قبائل متناثرة، في أجواء علاقات مضطربة، غالبًا ما تفضي إلى العداء والاحتراب، ومن يقرأ أيام العرب، وهو ما يطلق على معاركها وحروبها، تدهشه تلك المعارك الضارية، التي تنشب لأتفه الأسباب، ففي كتاب *أيام العرب في الجاهلية* الذي اشترك في إعداده ثلاثة

من الباحثين، عرض لعشرات الحروب الداخلية بين القبائل العربية، فمعارك القبائل القحطانية فيما بينهم بلغت عشر معارك، وبين القحطانيين والعدنانيين عشر معارك، وفيما بين قبائل ربيعة ست معارك، وما بين ربيعة وتميم خمسة عشر معركة، وبين قبائل قيس إحدى عشرة معركة، وبين قيس وكنانة عشر معارك، وبين قيس وتميم سبع معارك، وبين قبائل ضبّة وغيرهم خمس معارك، وهناك معارك أخرى متفرقة.[1]

ويبدو أن هذه الحروب التي عرضها المؤلفون، هي ما تناقلت كتب التاريخ والأدب أخبارها، أما سائر المعارك وهي كثيرة فقد تجاوزوا ذكرها، جاء في مقدمة الكتاب: «وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التي وصل إلينا تفصيل حوادثها، وذكر أسبابها، ورواية أشعارها وقصائدها، أما الأيام التي لم يقع في الكتب إلا ذكر عناوينها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب، فقد جاوزها اختيارنا روى صاحب *كشف الظنون* وغيره: أن أباعبيدة قد ألف كتابًا صغيرًا حوى خمسة وسبعين يومًا (معركة)، وآخر كبيرًا جمع فيه ألفًا ومائتي يوم، وأن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتابًا جمع فيه ألفًا وسبعمائة يوم».[2]

كان ولاء العربي أولًا وأخيرًا لقبيلته، مما يعني انصهاره فيها،

١- جاد المولى: محمد أحمد وآخرون، أيام العرب في الجاهلية.

٢- المصدر السابق ص: ك، ل.

وتغنيه بقوتها وأمجادها، وشدته تجاه ما يخالفها. وقد لاحظ الأستاذ أحمد أمين أنه «حين تقرأ الشعر الجاهلي تشعر ـ غالبًا ـ أن شخصية الشاعر اندمجت في قبيلته حتى كأنه لم يشعر لنفسه بوجود خاص، وأنك لتتبين هذا بجلاء في معلقة عمرو بن كلثوم، وقلّ أن تعثر على شعر ظهرت فيه شخصية الشاعر، ووصف ما يشعر به وجدانه، وأظهر فيه أنه يحسّ لنفسه بوجود مستقل عن قبيلته».[1]

في هذا المجتمع المتنوع قبليًا، والذي تسوده نزعة التطرف في الولاء للقبيلة، ويعيش حالة الصراع والاحتراب بين قبائله، بعث الله تعالى نبيه محمد(ص)، فاستطاع خلال أقل من ربع قرن من الزمن، أن يبني من تلك القبائل مجتمعًا متماسكًا، وكيانًا موحدًا، يحمل للعالم مشروعًا حضاريًا متقدمًا.

حقًا إنه إنجاز عظيم لا نظير له في تاريخ البشرية.

وهو ما لفت نظر الدكتور(مايكل هارت) من أمريكا، عند تأليفه لكتاب عن المئة الأوائل في تاريخ البشرية، فوضع شخصية النبي محمد على رأس القائمة كأهم شخصية في تاريخ البشر، وكتب عن هذا الاختيار قائلًا: «إن اختيار المؤلف لمحمد ليكون على رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إن هذا الاختيار ربما أدهش كثيرًا من القراء، إلى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف: أن

١- أمين: أحمد، فجر الإسلام ص٥٩.

محمدًا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرزفي كلاالمستويين الديني والدنيوي».[1]

فكيف استطاع رسول الله (ص) تحقيق هذا الإنجازالعظيم؟

وما هي الخطة التي اعتمدها لتوحيد ذلك المجتمع المتناثرالأشلاء؟

الهويّة المشتركة

في حالة الانقسام الاجتماعي تتضخم الهويّة الخاصة عند كل طرف من الأطراف، فهي حدود الدفاع عن ذاته، وخندق مقاومته، وعنوان وجوده، ومن أجل أن يتوحد المجتمع، لابد أن تنخفض درجة الغليان في الهويّات الخاصة، لصالح هويّة مشتركة يتمثل فيها وجود كل الأطراف، وترى من خلالها ذاتها بدرجة متماثلة.

وهنا لا يمكن أن تقوم هويّة أحد الأطراف بهذا الدور، لأن بروزها يستثيرتحدي بقية الهويّات، و إعلانها يعني غلبتها واعتراف الآخرين بالهزيمة أمامها.

فإذا كان المجتمع منقسمًا على أساس قومي، فلا يمكن أن تشكل إحدى قومياته إطارًا لوحدته، وتصبح هوية جامعة له، وكذا الحال لو كان متعدد الأديان أو المذاهب، فإن أحدها لن يقوم بدور الجامع المشترك.

فلا بد من عنصرمشترك بين أجزاء المجتمع، يتم إبرازه والتركيز

١- هارت: مايكل، دراسة في المائة الأوائل.

عليه كهويّة جامعة، أو تنمو حالة فكرية سياسية جديدة تتمحور حولها فئات المجتمع، وتصبح هدفًا مشتركًا و إطارًا جامعًا.

وهذا ما تحقق على يد رسول الله (ص)، ومن خلال دعوته الإسلامية المباركة، والتي أصبحت حالة سريعة النمو تخترق أوساط مختلف القبائل، وتبشر بتوجه جديد يحفّز نحو أهداف سامية، ويتبنى قيمًا إنسانية حضارية، تتجاوز أنانية الأفراد، وعصبية القبائل، وعبثية الحياة.

لقد أخذ الإيمان موقعه في نفوس أبناء تلك القبائل المتصارعة، وتمحور حوله ولاؤهم، وتوثق له انتماؤهم، على حساب الولاء القبلي، والانتماء العشائري، فأصبح إطارًا جامعًا وهويّة مشتركة، يفخر به الجميع بدرجة متساوية على اختلاف قبائلهم وتفاوت مكانتها وقوتها.

ثقافة الوحدة

حالة الانقسام والفرز الاجتماعي، تحفر آثارها في النفوس والمشاعر، بتضخيم الذات الفئوية، والحط من شأن المنافسين، والتعبئة تجاههم، كما تنتج ثقافة تبرر التمايز، وتكرّس المفاصلة، وقد تدفع إلى سلوكيات عدائية، وممارسات استفزازية.

وحين يحصل تطلع للوحدة في المجتمع، لا بد من ثقافة جديدة تعالج آثار ثقافة الانقسام، وتواجه مفاعيلها النفسية والسلوكية.

لقد كان الصراع والتنافس القبلي في الجزيرة العربية، دافعًا لتربية الأبناء على الفخروالاعتزازبانتمائهم للقبيلة، وتنمية مشاعر التميّزوأحاسيس الأفضلية على الآخرين، وهذا ما تنضح به قصائد شعرائهم، وخطب زعمائهم.

إن الحماسة والفخرهو من الأغراض الأساسية في الشعرالعربي الجاهلي، حيث يتفنن الشعراء في تمجيد قبائلهم و إظهارمكانتها، وفي شعرعمرو بن كلثوم نموذج صارخ لمثل هذا التوجه، حيث يقول في إحدى قصائده:

ملأنا البرحتى ضاق عنا ... وماء البحرنملاؤه سفينا
ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ... ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
إذا بلغ الفطام لنا وليد ... تخرله الجبابرساجدينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

والوجه الآخرلهذا اللون من الأدب الجاهلي هوأدب الهجاء، حيث يبالغ الشعراء في الحط من شأن القبائل المنافسة لقبيلتهم، ووصفها بأسوأ النعوت، وأقبح الصفات.

وجاء الإسلام ليوحد تلك القبائل، فاهتم بمواجهة تلك الثقافة التمييزية السائدة، باجتثاث جذورها النفسية والفكرية، ومقاومة آثارها السلوكية، حيث أكدت آيات القرآن الكريم، على الأصل الواحد لبني البشر: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، ونسفت

١- سورة النساء: آية ١.

كل مبررات التفاضل الزائفة بين الناس، إلا على أساس كسبهم الاختياري للصفات الفاضلة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

وشدد رسول الله (ص) في خطاباته وأحاديثه على مبادئ الوحدة بين أبناء المجتمع الإسلامي، وشّن حربًا ضارية على الأفكار والتصورات الجاهلية، بالتفاخر بالأنساب والأحساب، أو التفاضل بالانتماء القبلي أو العرقي.

كقوله (ص): «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية».[2]

وروي عنه (ص): أنه خطب يوم فتح مكة فقال: «أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب: إن الله قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية، والتفاخر بآبائها وعشائرها، أيها الناس إنكم من آدم وآدم من طين، ألا و إن خيركم عند الله وأكرمكم عليه اليوم أتقاكم وأطوعكم له».[3]

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: خطبنا رسول الله (ص) في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: «يا أيها الناس إن ربكم

١- سورة الحجرات: آية ١٣.

٢- السجستاني: الحافظ أبوداود، سنن أبي داود، حديث رقم ٥١٢١.

٣- المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٠ ص٢٩٣.

واحد و إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم».[1]

وفي إحدى الغزوات حصل سوء تفاهم بين مهاجري وأنصاري فصاح أحدهما يا للمهاجرين ونادى الآخر: يا للأنصار، فلما سمع رسول الله (ص) أدان هذا المنطق قائلًا: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة».[2]

بالطبع فإن المرفوض هو تفعيل الانتماء القبلي سلبيًا، وتضخيمه على حساب الولاء للمبدأ، دون أن يعني ذلك رفض الاعتراف بالانتماءات، والإقرار بالكيانات القبلية في مضمونها الإيجابي.

الشراكة الفعلية

لا شيء يحقق وحدة المجتمع كالشراكة الفعلية بين أطرافه في البناء واتخاذ القرار و إدارة الأمور، فذلك هو ما يشعر الجميع بمصلحتهم المشتركة في الحفاظ على كيان الوحدة، ورفض ما يمسّ بها، كما يجسد واقع المساواة في الحقوق والواجبات، أما إذا استأثرت بعض الأطراف بذلك، فإن الآخرين سيتملكهم الإحساس بالغبن والظلامة، وسيدفعهم شعورهم بالإقصاء والتهميش إلى القيام

١- المتقي الهندي: علي، كنز العمال، حديث رقم ٨٥٠٢.

٢- القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم ٢٥٨٤.

بردود فعل ليست في صالح الوحدة واستقرار المجتمع.

إن إقصاء أي طرف يحرم المجتمع من فاعليته وعطائه، ويفتح ثغرة في جدار وحدة المجتمع وأمنه.

ومن مفاخر الإسلام العظيمة سبقه إلى إقرار مبدأ المشاركة الشعبية، والشراكة الاجتماعية، وفي وقت كانت ترزح فيه المجتمعات البشرية في ظل أنظمة الاستبداد والعنصرية والطبقية البغيضة.

كان رسول الله (ص) يمارس الشورى على الصعيد الاجتماعي العام، ليدلي كل مسلم برأيه، كبيرًا كان أو صغيرًا، من الأحرار أو الموالي، من المهاجرين أو الأنصار، ومن أية قبيلة كان، وحتى العناصر غير العربية أخذت موقعها دون أي تفاوت، بل احتل بعضها موقعًا متميزًا بجدارته كصهيب الرومي وسلمان الفارسي.

وفي مجال الوظائف والمهام القيادية، كان رسول الله (ص) يسندها إلى الأكفاء المؤهلين من مختلف القبائل، ولو أُعطي هذا الجانب من السيرة النبوية حقه من الدراسة، لتجلت لنا وللبشرية روعة تعاليم الإسلام، وعظمة القيادة النبوية.

إن قائمة أمراء الجيوش والسرايا، وكذلك السفراء المبتعثين للملوك والزعماء، والشخصيات التي عينها الرسول (ص) في مواقع القضاء والمسؤوليات الدينية، هذه القوائم حين نفحصها نرى التنوع في الانتماء القبلي والمناطقي لأشخاصها.

وبعض التعيينات كانت تشكل صدمة و إثارة للرأي العام الذي كان يعاني من رواسب الحقبة الجاهلية، لكن رسول الله (ص) كان حازمًا في تحقيق مبدأ الشراكة واحترام الكفاءة.

ففي يوم فتح مكة أمررسول الله (ص) بلالًا الحبشي الأسود، الذي كان عبدًا يباع ويشترى في مكة، وأوقع به أسياده القرشيون صنوف الإهانة والتنكيل، حتى أغروا صبيانهم وسفهاءهم أن يقتادوه بحبل ليسخروا منه ويؤذوه، هذا الرجل اختاره رسول الله (ص) ليكون أول مؤذن على ظهرالكعبة، مما أثارحفيظة الكثيرمن القرشيين، حتى قال أحدهم لصاحبه: لقد أكرم الله أبي أن مات وألا يكون سمع هذا!! وكان الحارث بن هشام وصفوان بن أمية قاعدين فقال أحدهما للآخر: انظرإلى هذا الحبشي!! فقال الآخر: إن يكرهه الله يغيّره.[1]

وحينما عين رسول الله (ص) زيد بن حارثة وهو عبد اشتراه حكيم بن حزام ثم وهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته لرسول الله (ص)، عينه رسول الله (ص) على رأس جيش المسلمين إلى الروم في غزوة مؤتة إلى جانب جعفرالطياروعبدالله بن رواحة، اعترض البعض على هذا التعيين، فردّ عليهم رسول الله (ص)، ثم عين ولده الشاب أسامة ابن زيد على رأس آخربعث عسكري له (ص)، وجعل تحت إمرته كبارالمهاجرين والأنصار.

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣ ص٢٣٥.

قال ابن سعد في الطبقات: لما كان يوم الإثنين لأربع ليال من صفرسنة إحدى عشرة للهجرة، أمررسول الله (ص) الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعا أسامة ابن زيد فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصارإلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبوبكرالصديق، وعمرابن الخطاب، وأبوعبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟ فغضب رسول الله (ص) غضبًا شديدًا، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة، فصعد المنبرفحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله! وأيم الله إن كان للإمارة لخليقًا و إن ابنه من بعده لخليق للإمارة[1]

نهج الوحدة والحضارة

هذا النهج الوحدوي الذي اعتمده رسول الله في بناء الأمة، بتركيزالهويّة المشتركة، وهي الإسلام، لتكون فوق سائرالهويّات والانتماءات، والتي لم يتنكرالإسلام لوجودها، كالقبيلة والوطن والقوم، و إنما حارب التوجهات السلبية فيها، وضخّ في المجتمع

١- المصدرالسابق، ج٢ ص١٩٠.

الجديد ثقافة وحدوية، تعالج آثار المفاصلة القبلية السائدة، وكذلك الحرص على تحقيق الشراكة الاجتماعية بين مختلف الأطراف في البناء واتخاذ القرار و إدارة الأمور. هذا النهج هو ما يؤدي إلى الوحدة الحقيقية، وهو ما يؤهل المجتمع للرقي الحضاري.

وما تنتهجه الآن المجتمعات الغربية المتقدمة، من اعتماد الوطن كهويّة مشتركة، ومن احترام التنوع في مجتمعاتها، وتجريم الطروحات العنصرية، والممارسات التمييزية بين المواطنين، وتحقيق الشراكة والمشاركة عبر النظام الديمقراطي، إنما يمثل إدراكًا لأفضل سبل التقدم والحضارة التي سبق إليها الإسلام بقرون، ومع تلافي الكثير من الثغرات والسلبيات التي تعاني منها الحضارة الغربية.

والمسلمون اليوم هم الأولى بمثل هذا النهج السليم، النابع من تعاليم دينهم، والمنسجم مع تاريخهم وثقافتهم الأصيلة.

الحق أن لدينا ترسانة فكرية وثقافية هائلة إنْ استطعنا استخدامها بصورة صحيحة. ثمة اليوم لحسن الحظ فضلاء، وعلماء، وأفراد صالحون، لديهم قدرة علمية جيدة من حيث سعة آفاقهم النظرية وقوة أفكارهم، وعليهم النزول إلى هذه الميادين وتوسيع نطاق المساهمة فيها. إن حاجتنا اليوم أكبر بكثير من الفترة التي نشط فيها المرحوم الشهيد مطهري أي عقدي الأربعينات والخمسينات.
الإمام الخامنئي

أهداف التقريب

من استراتيجية التقريب للايسيسكو

انطلاقًا من الإيمان الراسخ بأن الوحدة الإسلامية من الخصائص القرآنية المقدسة للأمة الإسلامية، ومن الواجبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليها، ومن أجلّ مقاصد شريعته المطهرة، وباعتبارها أحد أهم مستلزمات التكامل الإسلامي الحضاري.

واعتبارًا بأن الأمة الإسلامية تفقد هويتها بل وذاتها، إذا فقدت وحدتها، وتنهدّ قواها إذا هي تجردت عنها، وتتداعى عليها الأمم، إن هي اعتمدت على عددها لا على عقيدتها ومصدر تشريعاتها.

وشعورًا بضرورة العمل من أجل توحيد الصف الإسلامي، وتكاثف الجهود لتعميق روح التضامن في كل مجالاته، الفكرية، والعلمية، والعملية، وتحقيقًا لمقاصد الشريعة في التآزر والتعاون والتكامل المبني على التقارب والترابط بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، و إعمالًا وتطبيقًا لأمر الله الداعي إلى الوحدة في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[1]، فإن لإستراتيجية التقريب

---

١ - سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

بين المذاهب الإسلامية أهدافًا سامية، سمو مرجعها الأول ومصدرها الأساس ؛ الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومقاصدهما وغاياتهما في ضرورة الالتزام بها شريعةً غراء، ومنهاجًا سليمًا، وهي لذلك شاملة ونبيلة نبلَ المحبة والتسامح، وعظيمة عظمة آفاقها المستنيرة ومضامينها البناءة الواسعة.

ولشمولية أهدافها وعمقها، فإنها تأتي في مراحلها التنفيذية، مقسمة إلى : أهداف قريبة المدى، وأهداف بعيدة المدى، كما تأتي في إطارها التنظيمي، أهدافًا تلازمية وتكاملية، باعتبارأن أهداف الإستراتيجية جزء مكمّل لأهداف التقريب الذي هو المقصد الأسمى، كما أن لهذه الأهداف أهميتها الخاصة باعتبارها إحدى آليات العمل التنفيذي الذي يشمل أساليب العمل التنظيمي والإجرائي، الذي سيتضمن خطط عمل إسلامية، ترسم فيها مسائل التقريب وقضاياه وميادين العمل والسبل والوسائل والآليات الخاصة بتحقيق أهدافه وأغراض إستراتيجية التقريب. ويأتي من منظورتنظيمي يتعين البدء بالتعريف بأهداف التقريب وأغراضه، لكونه جوهرالغاية المقصودة من هذا المشروع، ولما يتعلق بأهدافه من احتمالات التطوروالتوسع في إطار مبادئ التقريب وأهدافه الملازمة لمستجدات الأحوال، وتوفر الإمكانات، وتغيرالظروف، ولذلك تأتي في هذا المشروع كما يلي:

أولًا: أهداف التقريب

من خلال استعراض أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية وضرورة العمل من أجله، يتبين أن من أهدافه ما يلي :

١ـ السعي الجاد المبرمج لتضييق المسافة الخلافية القائمة بين المدارس الاجتهادية الإسلامية، التي تكونت في شكل قضايا ومسائل استنبطت أحكامها من مصادر تشريعية، وترعرعت خلال الحقبة التاريخية التالية لعهدَيْ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وهي في حقيقة الأمر وواقع الحال، ليست اختلافات بكل ما تحمله كلمة الاختلاف من مقاصد ومعان، استمدت وجودها من مفاهيم احتمالية اجتهادية، كانت لها مبرراتها الحياتية، مع التأكيد بأنها كانت اجتهادات ظنية في شكليات أمور الدين، ولذلك تم وصفها بأنها اختلافات رحمة، لمطابقة قوله صلى الله عليه وسلم : «اختلاف أمتي رحمة»[1].

٢ـ إثبات أن الاختلافات بين المذاهب والفرق الاسلامية لا يعني اختلافًا في جوهر النصوص التشريعية الثابتة في كتاب الله والصحيح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هي مجرد اجتهادات، وخلاصة آراء علمية توصل إليها الفقهاء والأئمة

---

١ - أخرجه الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة، وهي رواية الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعًا، كتاب شرف الأمة المحمدية، ص ٢٩، للسيد محمد بن علوي المالكي الحسني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

والمجتهدون من بعدهم، لذلك فما هو قائم حاليًا بين المذاهب، ليس إلا تعددًا في المصادر الظنية، وتوسعًا فكريًا في فهم نصوص الأحكام، وتنوعًا في القضايا والمسائل الخلافية، التي اقتضتها مستجدات ذلك التاريخ، ومجملها مستخرجة أحكامها من نصوص ظنية، على مستوى مدارك ومفاهيم إنسانية فردية أو جماعية، وقد تم انتشارها لسماحة الإسلام ورحابته، دون خروج عن ثوابته أو تجاوز لحدوده.

٣ـ التعريف بأن المقصود بالتقريب ليس دمجًا للمذاهب الإسلامية الحية في إطار مذهب أو مذاهب أخرى، كما أنه ليس لغرض الدعوة للاكتفاء بالجوامع والمشتركات ورفض مسائل الاختلاف، أو التخلي عن كل أو بعض المذاهب وتركها، والرجوع إلى رأي إسلامي جديد، كما يدعو إلى ذلك بعض الفقهاء، و إنما الغرض منه ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ إبراز عناصر التقارب بين المذاهب كلها، وتعميق الصلة التشريعية، والعلم بأن كل أحكام التشريعات الإسلامية تعود إلى مصدرها الأساس، وهو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وأن بقية مصادر التشريع مستمد ثبوتها من مراجعها ومن أصول التشريع، أما الدمج أو الاحتواء أو التذويب فذلك أمر غير وارد، وغير مستساغ، لاستحالة وقوعه وصعوبة التفكير فيه، ويرفضه العقل الإسلامي، ولا يقبله منطق الحكمة. وحول هذا الأمر يقول الإمام مالك رضي الله عنه : «قال ابن حاتم، قال مالك : ثم قال لي

أبو جعفر المنصور: قد أردت أن أجعل هذا العلم واحدًا، فاكتبه إلى الأمراء و إلى القضاة فيعملون به، فمن خالف ضربت عنقه، فقلت يا أمير المومنين : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في هذه الأمة، و إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة، كل يتبع ما صحَّ عنده وكل على هدي وكل يريد الله»، مما يدل أن تذويب الأفكار الاجتهادية أو تهميش أي مذهب، أمر غير مطلوب.

٤ـ التعريف والتذكير بأن جميع المسائل الخلافية وأحكام المذاهب الفقهية والآراء الاجتهادية، لم ينفرد بأي منها مذهب معين، وأن جل المسائل الاجتهادية كان قد اشترك في القول بها والأخذ عن أكثر من إمام وفقيه مذهب، وربما التزم بها أكثر من مجتهد، وبالتالي ليست مختلفة اختلافًا كليًا مع كل المذاهب، كما نجد أن بعضًا من هذه المذاهب كانت قد التقت مع مذهب أو مذاهب أخرى في قواعد فروعية خلافية، وفي أكثر من قاعدة أصولية اجتهادية، ولكثرتها في فروع الفقه الإسلامي، فقد أشرنا إلى كتبها في هذا المشروع.

٥ـ جعل التأليف بين قلوب أتباع المدارس الإسلامية والتقريب بين وجهات النظر هدفًا أساسًا تسعى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة لتحقيقه، من خلال اتخاذ إجراءاتها التنظيمية والعملية، ومنها إقرار هذه الإستراتيجية، ورسم الخطط العملية لتحقيقها، وتنفيذ برامجها وفق إمكاناتها المتاحة، وفي ظل ما يتاح لها من تسهيلات

علمية ومادية، وما تسهم به الدول الإسلامية من فرص لبلوغ مقاصدها وتحقيق غاياتها.

٦ـ التأكيد على أن الجوامع والمشتركات من المسائل والقضايا الفقهية بين المذاهب، أكثر بكثير من مسائل الاختلاف، ولذلك فإنها من عوامل التقريب وأسٌّ من أسسه، كما هي معيار وحدة الأمة. والاحتفاظ بقواعد المذاهب كمنطلقات فكرية وفقهية توجبها المصلحة الإسلامية، دون إخلال بثوابتها العليا، أو الخروج عنها، ويأتي التأكيد على وجوب الالتزام بمبدإ الاحترام المتبادل بين المذاهب واعتبار ذلك من المستلزمات المهمة، اقتداءً بما كان عليه أئمتها الأعلام، وفي السبيل نفسه الذي سلكه العلماء، والنهج نفسه الذي سار عليه المجتهدون منذ نشأة المذاهب.

٧ـ الوقوف علميًا وتاريخيًا على أسباب الاختلافات الفقهية ودوافعها، ونشوء بعض الفرق الإسلامية واندثارها، لتقف الناشئة المسلمة وعامة الأمة الإسلامية، على معرفة كوامِن تلك المعطيات من الأمور المثيرة للاختلافات، ليسهل ردم براكينها و إخماد منابتها، وتيسير تقطيع شوائبها، وصولًا إلى حلول عملية لمشكلاتها التي شملت مناحي حياة المسلمين كافة.

ومن منطلقات أغراض التقريب بين المذاهب وأهدافه، تتحدّد أهداف إستراتيجية التقريب التالية :

ثانيًا : أهداف إستراتيجية التقريب

لاشك في أن أي عمل يراد له النجاح وبلوغ الغاية المتوخاة منه

يتطلب أن تكون له أهداف واضحة، ضمانًا لنجاح برامج التقريب وأنشطته، ولذلك فإن هذا المشروع يستهدف تحقيق ما يلى :

١.جعل التقريب بين المذاهب الإسلامية هدفًا إسلاميًا متجددًا، تُعنى بتحقيقه الدول الإسلامية كافة.

٢. تحديد الطرق العلمية والعملية والمسالك المستنيرة لفهم أبعاد الرسالة الإسلامية، وضبط مفهوم ما يسمى بالاختلافات المذهبية، الفقهية منها والأصولية، والإسهام في التعريف بأن التفرقة المذهبية المفتعلة التي أدخلتها النزاعات المشبوهة، والصراعات الفكرية غير المشروعة، والتي تجاوزت حدود الاختلافات المحمودة والمقبولة إسلاميًا، ليس لها جذورإسلامية، ولا مرجعية تشريعية، ليتجنبها المسلم، حفاظًا على اللحمة الإسلامية، والتأكيد على أن ما عداها من الاختلافات الفقهية، لا يعدو كونه اجتهادات فكرية وآراء ظنية، تنمو بنمو الوعي الإسلامي الصحيح، وتتعدد بتعدّد نوعية الحياة، وتتجلى أبعادها ومقاصدها في إطارتطبيق أهداف هذه الإستراتيجية وتحقيقها.

٣ـ الارتقاء بثقافة التقريب المذهبي والفقهي لدى الأجيال الإسلامية، وتهييئهم لفهم ما برزعلى الساحة العلمية، وما يستجد فيها، فى إطارتصحيح فهم مقاصد ما أطلق عليه اختلافات فكرية وفقهية، وتذويب النزاعات الجدلية، بالقدرالممكن، والاستفادة من التعددية الفكرية في إطارالشريعة الإسلامية.

٤ـ إبرازأسس العلاقات المتينة التكاملية القائمة بين المذاهب

الفقهية الإسلامية القائمة، وتفعيل مبدأ العمل الاجتهادي وفتح آفاقه وعلومه، وفق الأصول والقواعد المقررة فقهيًا.

٥ـ حصر المسائل الخلافية في المسائل والقضايا الظنية، وردّها إلى مصادرها الصحيحة، بغرض إزالة أنواع الشك حول نوازع الاختلاف العقدي، بما يوضح الصحيح من العقائد الإيمانية والقواعد الإسلامية الجليلة.

٦ـ العمل على تذويب الغلوّ والتعصب المذهبي، أينما وجد، والارتقاء بمفهوم الاختلافات الفقهية إلى مقاصدها، و إعادتها إلى جذورها الإسلامية الصحيحة، دون حيف أو تشنج أو تعصب، بغرض إيجاد أرضية إسلامية صلبة للتبادل المعرفي، وتكوين وحدات فكرية إسلامية تتفاعل مع المستجدات الحياتية، وتعي التحديات الجديدة التي تحدق بالعالم الإسلامي.

٧ـ السعي الى مضاعفة الجهود الإسلامية الهادفة، بغرض الوقوف ـ بفعالية إيجابية ـ أمام التيارات المعادية للإسلام، والتصدّي لها بعزيمة إسلامية موحدة، وبالذات هيئآت التنصير التي تستهدف هدم البنية الإسلامية، أو التشكيك فيها، وللتمكّن من صد الغزو الفكري المعادي للإسلام والمسلمين، ومواجهة الانحلال المعرفي الذي يروج له عبر مغريات العصر، والعمل على تسخير التقنيات العلمية والآليات المتطورة ووسائل الاتصال الجماهيري ذات الأثر الايجابي، لمصلحة المسلمين جميعًا، حفاظًا على عقيدتهم السمحة، وهويتهم الإسلامية التي عليها عماد حياتهم.

رشدي فكّار..
فيلسوف المشروع الحضاري

عبدالباقي صلاي*

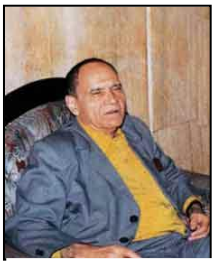
رشدي فكار

العلماء مصابيح الدنيا كما جاء في الأثر، كما يعتبرون البَدّة التي بفضلها تتقوى الأمة وتتحدى صلف القوى الأخرى، فبنورعلمهم تنهض الأمم وترقى وتتقدم الصفوف الأولى، وتسيطرعلى ناصية الحضارة والتكنولوجيا، وما ارتقت الأمم عبرالتاريخ الإنساني إلا بفضل جهود علمائها وبفضل زبدة ما قدموه من علم وفكرمستنير.

والحضارة الإسلامية ما بلغت الذي بلغته، وما عمرت أكثرمن ثلاثة عشرقرنًا من الزمان، إلا بفضل علم علمائها، ولم تتراجع عن قيادة العالم إلا عندما انحسرالعلم وتخلف العلماء عن تشكيل الواقع كما يتوجب أن يكون وفق النمطية الحضارية المطلوبة، بل إن الحضارة الإسلامية مسها الضعف والهوان عندما تقدم الجهلة إلى المقود الحضاري وكان حتمًا أن يقودوها إلى الهلاك، فأضحى ما

---

*- كاتب جزائري.

قدمته الأمة الإسلامية عبرقرون خلت قاعا بلقعًا ورمادًا تذروه الرياح وكأن شيئًا لم يكن في يوم من الأيام اسمه حضارة ذات صبغة إسلامية صرفة.

لكن ورغم الذي حدث للحضارة الإسلامية من رجة عنيفة أسقطتها من عليائها، بيد أن الأمة نفسها لم تعقريومًا أن تلد من رحم معاناتها من استولى على نفسه وكيانه هَمُّ فجيعة سقوط الخلافة الإسلامية. كما أخذ على نفسه عاتق بناء ما تهدم، و إنارة الطريق بعد أن سادتها الظلمة من كل الجنبات.

ويعد المفكرالإسلامي رشدي فكار-رحمه الله -من أبرزعلماء الإسلام في القرن العشرين الذين جالوا بأبصارهم في زوايا الفكر ونقبوا وبحثوا في الإجابة عن السؤال الذي ما تزال تجمع عليه الأمة قاطبة: **لماذا تخلف المسلم فيما تقدم غيره؟** كما يعّد من المفكرين المسلمين القلائل الذين عايشوا الحضارة الغربية وسبروا أغوارها من الداخل، وتخصصوا في فكرها وعلومها لفترة تزيد على ربع قرن من الزمان،ففهم بذلك مكمن سرّتخلف المسلمين، ومكمن سر تضعضعهم في جوانب عدة، يقول رشدي فكار: «في البداية هنالك جانب معنوي لتخلف المسلمين في هذا العصروأعتقد أن البناء الذهني والبناء الأخلاقي غالبًا ما يشكل أرضية البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ولاأعتقد كثيرًا في جدية أن العامل المادي هوالذي يملي على الإنسان السلوك العملاق، ودائمًا في نفس السياق يواصل رشدي فكار: «وحقيقة الأمرأن سرّتخلف المسلم أنه

في قطيعة مع الإسلام.. غاب عنه النص واحتفظ بمجرد العنوان غاب عنه جوهرأكمل الرسالات، وأصبح يردد الشعارات ويزعم أنه خيرمن يمثل الإسلام بهذه الشعائربرغم أن ممارسات حياته وسلوكه كثيرًا ما تتعارض مع تعاليم الإسلام والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ولم يقل يا أيها الكافرون فالإسلام يطلب من المسلم أن يكون واضحًا حتى في خطئه، ويعلن التوبة،ويطلب المغفرة والرحمة، نوع من المحاكمة العلنية الرائعة».

ولا يقف رشدي فكارعند حدود تشخيص المرض و إنما يطرح رؤية لاستعادة البناء الحضاري.ويركزفي هذا الاتجاه على مرحلة التعليم الأولى في حياة أي طفل، ويرى أنها من أخطرالمراحل التي يجب أن ننتبه إليها، وعلى هذا فهو يدعوإلى تحريم إطلاع الطفل المسلم على أي انتماء آخرغيرالانتماء الإسلامي حتى الثانية عشرة من عمره، كما تفعل ذلك الأمم الأخرى مع أطفالها، بعدها يبدأ الانفتاح على ثقافات العالم، فمنطلق رشدي فكارفي بناء القاعدة الحضارية الإسلامية يجب أن ينطلق من الاهتمام بالطفل بادئ ذي بدء، لأن الطفل بمثابة المادة الخام الأولية التي منها يكون أول البناء للجدارالإسلامي، ثم تأتي بعد ذلك إعادة صياغة شخصية المسلم المعاصروفق المنهج الرباني القويم. و إعداد نسق تربوي سليم غير مهلهل يؤمّن له أن يتصدرفي عصره ويستحوذ على وسائل العصر، فالإنسان المسلم كما يؤكد رشدي فكاريعاني هذه الأيام من سوء توظيف لقدراته وممتلكاته،وأنه يمكن أن يتخطى الوعكة

الحضارية التي يمربها الآن لو نجح في تجاوز عملية سوء التوظيف هذه.

وفي ذات السياق يحذر رشدي فكار من المغالطات التي يريد الكثيرون من الضفة الأخرى أن ينثروها في عقل المسلمين عن الحضارة الغربية التي حسبه ترتكز على قدرات ثلاث هي: الأسس العلمية، والتطبيق الصناعي، والمعرفة التكنولوجية، ومن هذه المغالطات أن الحضارة الغربية حضارة عصية على الالتحاق بها، وهذا في حد ذاته جزء من الفشل الذي يجب التحذير منه كما يؤكد رشدي فكار، إنه لمن الخطأ أن ينظر إلى هذه الحضارة على أنها خارقة وشاذة ومتميزة. إلى غير ذلك من النعوت التي سعى البعض إلى النفخ فيها وتضخيمها تيئيسًا للآخرين حتى يخامرهم القنوط، وتضعف فيهم الهمم فيتقبلون بقناعة سيادة الغرب التي لا تقهر، وصولجائه الذي لا تحده حدود، حضارة الغرب ليست معجزة، و إنما هي مرحلة من مراحل تاريخ الإنسانية، نعبرها اليوم للأسف في موقع المسود لا السائد، بعد أن كنا وخلال ما يقرب من ألف عام محورًا رئيسيًا من محاور الكون ومصدرًا أساسيًا من مصادر إشراق الإنسانية وأشعاعها.

رشدي فكار يرفض غلبة الحضارة الغربية ليس لكونها حضارة غير موجودة كأمر واقع، فهذا أمر مسلم به ولا أحد يستطيع أن يماري في أنها أي ـ الحضارة الغربية ـ تمثل قوة مادية وتكنولوجية لا تضاهيها قوة، لكن يرفض الشق الآخر من الغلبة كما سبق وأشرنا إليه كون هذه الحضارة تمثل المبتدأ والمنتهى في كل شيء كما

نظرلذلك فوكوياما من خلال نظريته المعروفة نهاية التاريخ،ويرى رشدي فكارأنه يمكن تجاوزتلك العملية وتخطي الوعكة الحضارية وهي ليست مستحيلة لأن لدى المسلم من المبادئ الخالدة التي تجعله متعادلا ومتوازنًا مع ذاته. خاصة تلك التي ركزت على النفس البشرية وجعلت لها الأولوية على الجسد، وظهرهذا واضحًا في حديث القرآن الكريم عنهما.فكرر(النفس) عشرات المرات بينما ذكر(الجسد) مرتين فقط من باب الأولويات، فعلى المسلم أن يعي هذا ويعطي للنفس ما تستحق من الأهمية خاصة وأن الآخرين ركزوا على الجسد واسترخانه.

إن المشروع الحضاري الإسلامي في مجمله لدى رشدي فكارهو إعطاء الأولوية القصوى للإنسان ذاته، لأن الإنسان هوالذي يبني الحضارة وهوالذي يهدمها في نهاية المطاف،مبرهنا على أن الإسلام استطاع أن يعبرالقرون معتمدًا أساسًا على إنسانية هذا الإنسان المؤمن.

وذهب رشدي فكارفي استدلاله إلى اعتبارأن الحضارة الإسلامية انهارت عندما تركت الجانب المادي أو ما يسميه «العضل»: يتغلب على الجانب الإنساني: وهي الإيمان والعقل المفكروالصبر والحق والتضامن والتآلف والقوة، بدأت تتبنى «العقل» بمعنى أنه يمكن أن يصبح الإسلام قوة عضلية، وركزت على هذا حينما كان العضل قويًا في عصرالإمبراطوريات أو عصرالدول الإسلامية وكانت مهابة، لكن حينا بدأ العضل يضعف انتهى الأمر، والمثال

الخلافة العثمانية أخيرًا مع أنها كانت من أكبرالفترات في الإسلام من حيث الامتدادات الجغرافية والقوة وبمجرد أن ضعف السيف في يد من يحمله انتهى الأمر، ولحسن الحظ لم ينته الإسلام.

الثابت في منهج مفكرنا رشدي فكارأنه ينظرإلى الحضارة الإسلامية على أنها قادرة أن تتولد مرة أخرى وتعود إلى الساحة تؤدي دورها كما في السابق لا سيما على المستوى الإنساني، لأن الحضارة الغربية الحالية و إن نجحت في تذليل صعاب الحياة،بيد أنها أفلست ولم تعد تستطيع أن تسعد الإنسان الذي لا يزال يلهث وراء البحث عن مفردة سعادة.

ونخلص إلى ما يراه رشدي فكارأن الإسلام لديه الكثيرالذي يستطيع أن يقدمه له مالا يملك من قيم إنسانية وحضارية يفتقدها الإنسان الغربي الذي أصبح في عطش دائم لهذه القيم، لأن الإسلام يتمتع بميزات لا وجود لها في أي دين آخر، ولذا تبقى الصياغة الإسلامية الحضارية لإغاثة عالم الحضارة الغربية الأمل الموعود والمرتقب في دنيا العصروقلق ذوي الاهتمام والفكر،لأن العالم حسب رشدي فكارسوف يخضع بالإصرارالإلهي للمنهج الإسلامي وللصيغة الحضارية القرآنية بعد أن بدأت التباشيرتلوح بالأفق المضيء، ولسوف تفني كل هذه التعفنات التي أغرقت البشرية في طوفان الظلم والإباحية الجنسية والخلقية والسياسية المدمرة، وعندئذ تعود القيادة الرشيدة والمقود إلى أولي الأيدي والأبصارحسب التعبير القرآني الكريم.

جولة في كلمات التحرير

لمجلة رسالة الاسلام القاهرية/القسم الأول

كلمات التحرير في أية مجلة تمثّل مؤشرًا هامًا لمسيرتها، وأعداد مجلة «رسالة الاسلام» القاهرية التي كانت تصدر عن دار التقريب في القاهرة تبدأ غالبًا بكلمة كتبها رئيس التحرير الشيخ محمد محمد المدني، وبعد وفاة الشيخ (رحمه الله) توقفت المجلة زمنًا ثم عادت إلى الصدور فخرج منها عددان فقط هما العددان ٥٩ و٦٠ وكتب كلمة التحرير فيهما علي الجندي، ثم احتجبت المجلة عن الصدور.

نلقي الضوء في هذا الملف على أهم ماجاء في كلمات التحرير.

١- العدد الاول من السنة الأولى (ربيع الاول ١٣٦٨هـ)

افتتح بسورة الفاتحة ثم جاءت كلمة التحرير لتبين سبب تسمية المجلة باسم «رسالة الإسلام»، والأسباب كلها تتحدث في الواقع عن أهداف المجلة.

والأسباب التي ذكرت هي:

١- إنها تستوحي روح الإسلام وسماحة الإسلام.

٢- إنها مجلة كل المسلمين ومعرض أفكارهم وآرائهم دون تعصّب ولا تحيّز.

٣- إيقاظ الشعورفي المسلمين بأنهم أمة واحدة.

٤- الربط بين ماضي المسلمين وحاضرهم.

٥- تذكيرالمسلمين بأنهم ورّاث دعوة عالمية عليهم أن يحملوا لواءها.

٢- العدد الثاني من السنة الأولى (جمادى الآخرة ١٣٦٨هـ)

تصدربحديث عن وضع المسلمين وواجب العلماء تجاه هذا الوضع. «فوضع الأمة خلال القرنين الأخيرين وصل إلى أدنى درجات الضعف والانحلال والجهل والتخبط والذل والاستعباد في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية والصناعية والصحية».

وتستمرالكلمة لتتحدث عن مواضع الضعف في أمتنا.. تذكر جهل الشباب بشؤون دينهم، و إهمال الجامعات المدنية الثقافة الإسلامية، وسيطرة الكتب الموروثة على الأفكاروالعقول وسيطرة مقاييسهم وموازينهم الفكرية علينا، واستعارة أنظمة الحكم والتشريع والإدارة والاقتصاد، وغياب الغيرة الإسلامية.

هذه هي السلبيات التي تصورها الكلمة وهي تتحدث عن أوضاع المسلمين في أواخرالأربعينات . وتهيب بعلماء المسلمين أن ينهضوا بمسؤولياتهم.

٣- العدد الثالث من السنة الأولى (رمضان ١٣٦٨هـ)

تتناول كلمة التحريرفيه مسألة هامة ترتبط بتفعيل الدورالشعبي في النهضة الفكرية والعلمية، مركزة على «أن الحكومات غير

قادرة على النهوض بالمهام الحياتية إذا نامت الشعوب. ويضرب الكاتب على ذلك مثلا طريفًا من نشاط مجمع الضاد (ويقصد به مجمع اللغة العربية في القاهرة)، فيقول: «إن هذا المجمع بكل ما اجتمع فيه من فطاحل الشرق والغرب يحاول منذ عشرين عامًا أن يكتب ثلاثة معاجم: هي الوجيروالوسيط والكبير، ولمّا يصدرحتى الآن معجمه الوسيط بَلْه الكبير. وبين أيديهم *لسان العرب* و*الصحاح* و*المخصص* و*النهاية* و*القاموس* وكل واحد منها ثمرة من ثماررجل واحد».

أغلب الظن أن الكاتب يتحدث عن أهمية وجود مؤسسات غير رسمية تعمل في الحقل العلمي والثقافي في المجتمعات الإسلامية، ولعله أراد أن يدافع عن وجود «دارالتقريب» أمام محاولات الاحتواء الحكومي الرائجة في العالم الاسلامي.

٤- العدد الرابع من السنة الأولى (ذو الحجة ١٣٦٨هـ)

تتناول الكلمة فيه وضع الساحة العالمية حيث «شعارات الديمقراطية والاشتراكية ومبادئ ولسن، وحريات روزفلت، وميثاق الأطلنطي، وعصبة الأمم، ومحكمة العدل، ومجلس الأمن.. تقرع الآذان، ولكن الواقع لا يسفر إلاّ عن نوايا السوء التي تحاول أن تخدع الناس بهذه الشعارات». ثم يتحدث الكاتب عن حاجة العالم إلى مبادئ الإسلام التي تجمع بين المادية والروحية، فلا تسمح لإحداهما بأن تطغى على الأخرى.

٥- العدد الأول، السنة الثانية (ربيع الاول ١٣٦٩هـ)

تتحدث الكلمة بمناسبة بدء السنة الثانية عن التفاف الأمة حول صوت التقريب وتجاوبها مع أهداف دارالتقريب، لافرق بين ناطق بالعربية أو بغيرها من اللُّغى، ونقل بحوث مجلة «رسالة الاسلام» إلى التركية والفارسية والانجليزية والاوردية، وتدفق الرسائل عليها.

ثم تذكرالكلمة «أن الله سبحانه مَنّ في ذلك العام على الشيخ عبد المجيد سليم وكيل جماعة التقريب والسيد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر والسيد عبد العليم الصديقي العالم الهندي المجاهد ورئيس تحريرالمجلة ومديرإدارتها بأداء شعيرة الحج والزيارة، أما السكرتيرالعام للجماعة الأستاذ القمي فقد قام برحلة إلى إيران وبلاد الشرق الأوسط ولم يعد حتى كتابة الكلمة».

ثم يتحدث رئيس التحريرعن موسم الحج - بمناسبة أدائه الشعيرة - وأهميته في توحيد الصفوف. «فلاالسني يذكريومئذ سنيته، ولاالشيعي يذكرشيعيته، ولا يحضرهم خلاف، ولا يفرق بينهم رأي، ولا تفسد جماعتهم عصبية، ولا يذكرون إلاأخوّة الإيمان، وشريعة القرآن، ونبوة خيرالأنام.. وكيف ينسون هذه العروة الوثقى بينهم إذا رجعوا إلى قومهم.. أما ورب البيت إن هذا لشيء عجاب!»

٦- العدد الثاني السنة الثانية (جمادى الآخرة ١٣٦٩)

تتناول الكلمة فكرة «إقامة نظام يقوم على أساس من إيمان الشرق وعلوم الغرب وأفانينه المادية والعملية». ويعتقد الكاتب أن

على المسلمين أن يقيموا حياتهم على أساس الإسلام لا غير في كل جوانب حياتهم المعنوية والمادية، دون أي تخاذل أو تراجع، ودون أي فصل بين الدين والحياة.

والفصل بين الدين والجانب الحيوي من الساحة الإنسانية، أو الفصل بين الدين والسياسة خطة ماكرة تستهدف عزل الإسلام عن ممارسة دوره في قيادة المجتمع، ولاتزال هذه الخطة قائمة حتى يومنا هذا.

٧- العدد الثالث السنة الثانية (رمضان ١٣٦٩هـ)

يتحدث الكاتب عن عزّة المسلمين في ماضيهم، لأنهم «كانوا يرون الله أكبر من كل شيء، فلم يذلوا لمخلوق، ولم يذعنوا لجبروت، ولم يطأطئوا أمام الباطل رأسًا، ولم يُغضوا على الفساد والمنكر طرفًا».

هذا الذي يتحدث عنه رئيس تحرير المجلة ينطلق من أمل يراود كل مسلم غيور في عودة الأمة إلى عزّتها. وهذه العزّة مبدأ نسيه المسلون في حياتهم الفردية والاجتماعيّة بعد أن ابتعدوا عن مصدر هذه العزّة، وهو الإحساس بالانتماء الرسالي وبالاستعلاء الإيماني.

ثم يقول بعد عرض صور من التاريخ.. «أما بعد فهذا حديث التاريخ عن الأولين، فليت شعري ماذا هو قائل عن الآخرين؟ أما والله إن الحساب لعسير وإن الحكم لخطير».

٨- العدد الرابع، السنة الثانية (ذو الحجة ١٣٦٩هـ)

يدورالحديث عن الحج وعن أمرالمشرفين على بلاد الحرمين الشريفين. ويذكررئيس التحرير«أن في «دارالتقريب» و إدارة مجلّة «رسالة الإسلام» أضابيرتحمل ألوانًا من الكتابات بشأن ما يتعرّض له ضيوف الرحمن من سعادة أو شقاء، منها المطوّل، ومنها المختصر، ومنها الثائر، ومنها الهادئ..»

ويذكرأن دارالتقريب في سبيلها إلى دراسة ذلك كله وتحقيقه وتكوين الرأي فيه لتقول للمسلمين كلمتها.

ويظهرأن رئيس التحريرحريص على أن لايذكرفي افتتاحيته ما يتعارض والتقريب، لكنه أمام عتب العاتبين ولوم اللائمين سجّل كلمة قصيرة بشأن أوضاع الحجاز، وأنحى باللائمة - بلغة جارحة - على من أسماهم «النجديين الذين يضيّقون على أهل العلم والرأي في الحجازتضييقًا، ويلزمونهم - من طريق مباشرأو غيرمباشر- أن يعتنقوا آراء معينة، ولا يسمحون لدرس علمي يقام في أحد المسجدين إلا إذا ألقاه نجدي أو «متنجد..».

٩- العدد الأول، السنة الثالثة (ربيع الاول ١٣٧٠هـ)

بمناسبة مطلع العام الثالث للمجلة يتحدث رئيس التحريرعما حققته المجلة من نجاح بين أهل العلم والدين في مختلف البلاد الإسلامية. ثم يذكرأن الشيخ عبد المجيد سليم تولّى مشيخة الازهر الشريف في مطلع ذلك العام الهجري (١٣٧٠هـ). ويرى الكاتب «أن الشيخ بما لَهُ من منزلة في جماعة التقريب قد أصبح رمزًا لفكرة

التقريب، كذلك ينظرإلى فضيلته المسلمون جميعًا، لا فرق بين سنّي وشيعي، فكلهم يعرفونه، وكلهم يرجونه».

١٠- العدد الثاني، السنة الثالثة (جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ)

كلمة التحرير تدور حول نبأ اضطرب لسماعه العالم الإسلامي وهو أن خللًا خطيرًا أصاب الحرم النبوي الشريف فتصدّعت أعمدته منذ سنوات وأن القبة الخضراء توشك على الانهيار.

ويتحدث بلغة غاضبة ساخطة على موقف «إخواننا النجديين» لسكوتهم عن هذا الأمر، ولإهمال الحرمين الشريفين وتجمع الأقذار والأبوال حولهما ويقول: «لم لا يعالج هذا كله والمسلمون يدفعون ضرائب على الحج والزيارة، وقد فاض الذهب النُّضار من منابع الزيت حتى طارت به الطائرات إلى الدنيا القديمة والدنيا الجديدة؟»

وبنفس اللغة الساخطة يختتم كلمته بالقول:

«فليكن لإخواننا النجديين مايرون في القبور والقباب، وليتوسّعوا في هذا الرأي ما شاء لهم التوسّع حتى يجعلوه شاملًا للقبر الزكي والقبة الخضراء، ولتشغلهم رحلاتهم وما يشهدون فيها من منافع لهم، عن إصلاح سبل الرحلة الإسلامية المقدسة، ولكن ليعلموا أن العالم الإسلامي لا يسكت طويلًا على هذه الحال، ولا يرضى بأن يتصرف أهل نجد في الحرمين والبقعة المباركة التي ضمت جسد محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) كما لو كانوا يتصرفون في مسجد من مساجد «الغُطغُط» أو مقبرة من مقابر عنيزة».

١١- العدد الثالث، السنة الثالثة (رمضان ١٣٨٠هـ)

كلمة التحرير تناولت حادثة تأميم النفط في إيران (١٩٥١م) وما رافقها من حوادث في هذا البلد، وذكر الكاتب أن الحادثة دلت على «حيوية في الشعب الإيراني، وشدة في شكيمته، ونبهت أهل الاستعمار وأصحاب المطامع إلى أن للشعوب صحوات، و إن طالت بها الغفوات».

وبمناسبة تأميم النفط أشار الكاتب إلى ضرورة تأميم تشريعنا (نفي الدخيل عنه) كما نحرص على تأميم بترولنا. وقال:

«تعرف ذلك جماعة التقريب، وتعرف أن عوامل غريبة عن أهل الإسلام حاولت في الماضي ومازالت تحاول أن تصور لهم الخلاف فيما وراء الأصول التي بها يكون الإيمان خلافا أساسيًا يمنع تعاون السني والشيعي، ويحول دون تآخيهما الذي فرضه اللّٰه، وهذه العوامل الغريبة تعمل في ذلك لمصلحتها ، ولا تقصد من وراء سعيها إلا أن تفرق فتسود. فجماعة التقريب تريد أن تبعد هذه العوامل المفرقة عن المسلمين.. فإذا نجحت هذه الجماعة، و إنها لناجحة بإذن اللّٰه، عادت الأمة أمة، وعاد اليها أمرها، وأحياها اللّٰه بعد موتها، واللّٰه يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير».

١٢- العدد الرابع، السنة الثالثة (ذو الحجة ١٣٧٠هـ)

تعالج كلمة التحرير مسألة على غاية من الأهمية، هي زيف المنظمات الدولية، وسيطرة القوى الكبرى عليها، وعدم قدرتها على

حل مشاكل المسلمين مثل قضية فلسطين، ويرى أن الغرب في تعامله مع الشرق يكيل بمكيالين، ويقول:

«نعم، إن هذه شريعتهم. فهم ينظرون إلى الشرقيين في كل شيء بعين غيرالعين التي ينظرون بها إلى الغربيين.. هم يرون التمتع بالحرية في القول والرأي والعمل حقًا لهم يغارون عليه ولا يتهاونون في شأنه، فإذا رأوا شعبًا شرقيًا تطلّع لمثل ذلك أو لبعض ذلك سخروا منه ونصحوا لأبنائه بالاعتدال».

ويطلب الكاتب من المسلمين في خاتمة مقاله أن «يجرّبوا الثقة بأنفسهم والاعتماد على قوتهم وأن يأخذوا حقوقهم بقوة الإيمان وصدق العزيمة».

١٣- العدد الاول، السنة الرابعة (ربيع الثاني ١٣٧١هـ)

كلمة التحريرفي هذا العدد أشارت إلى تصاعد الثورة في إيران (١٩٥١ - ١٩٥٢م) والى التعاون بين مصرو إيران (في إشارة إلى زيارة مصدق للقاهرة في صفر١٣٧١هـ). وقال الكاتب:

«إن ماحدث اليوم من التجاوب بين مصرو إيران وسائرالبلاد الإسلامية في ساعة العسرة لدليل ناهض على أن العاطفة بين المسلمين عاطفة أخوّة كريمة أصيلة، لا مصنوعة ولا مدخولة».

١٤- العدد الثاني، السنة الرابعة (رجب ١٣٧١هـ)

الدعوة العالميّة إلى «التسلّح الخلقي» تناقلتها وكالات الانباء العالمية يومئذ، ورئيس التحريرعلق على هذه الدعوة بأنها هي ذاتها

دعوة الاسلام: «ليت شعري ماذا بين هؤلاء وبين دعوة الاسلام؟ أتراهم عرفوها فوصفوها؟».

١٥- العدد الثالث ، السنة الرابعة (شوال ١٣٧١هـ)

«الأخوة في العلم» موضوع افتتاحية المجلة في هذا العدد، ويقول الكاتب فيها: «إن علماء الإسلام ثابتو النسب إلى أب مشترك، فكلهم عن رسول الله ملتمس ، ومن نور الكتاب الكريم مقتبس، ولهم أصول راسخة اتفقت عليها كلمتهم، وارتبطت بها عقولهم، وجالت في دائرتها أفكارهم، فما عليهم من بأس بعد ذلك أن يختلفوا ، وأن يكون لكل منهم ملامح شخصيته ، ومقومات فرديته».

ويشير الكاتب إلى نموذج من هذه الاخوة العلمية بقوله:

«ومن آيات ذلك ما نراه في الحين بعد الحين بين علماء الإسلام في مصر و إيران واليمن والعراق والشام وغيرها - ولا سيما بين شيخي السنة والشيعة الامامين الجليلين الشيخ عبد المجيد سليم والحاج حسين آقا البروجردي - من تبادل الرسائل والمشاورات في شؤون المسلمين، على بعد الشقة واختلاف المذهب والأنصار والأشياع».

١٦- العدد الرابع، السنة الرابعة (محرم ١٣٧٢هـ)

تتحدث الكلمة عن شهر محرم الحرام، بما فيه من حرمة وقدسية وأمن وسلام باعتباره من الأشهر الحرم، وعن الهجرة النبوية المباركة في بدايته، وعن حادثة كربلاء في العاشر منه.

والملفت في هذا المقال حديث الكاتب عن الحسين بن علي(عليه السلام) ، فهو يدلّ على تفهّم تام لأهداف هذا الإمام في ثورته. فالثورة «استهدفت - في رأي الكاتب - كشف الغمّة التي أحاطت بالأمة ودفع الظالمين وتطهير الأرض من أهل البغي والجور والفسوق».

١٧- العدد الاول، السنة الخامسة (ربيع الثاني ١٣٧٢هـ)

تصدّر بكلمة بمناسبة مطلع العام الخامس للمجلة، تتحدث عن أهمية التقريب، وعما بلغته المجلة من «منزلة مرموقة بين أهل العلم والرأي في كل شعب من شعوب الأمة الإسلامية إيمانًا بفكرتها، واعترافًا بجهودها، ورضاء عن سلوكها».

ولأول مرّة تتطرق كلمة التحرير إلى «أفراد في كل طائفة لاهمّ لهم إلا أن ينبشوا عن الهنات، ويضخّموا الهفوات، ويأخذوا أرباب المذاهب بأقوال عامتهم ضاربين صفحًا عن تحقيق خاصتهم، كفعل ذوي المآرب من المستشرقين، يحكمون على الإسلام عامة بما يرونه من الآراء الشاذة في بعض الكتب، ولو أنصفوا لاستطاعوا أن يفرقوا بين ماهو حكم الدين قطعًا أو ظنًا، وما هو رأي فيه عُهدتُه على صاحبه».

ولأول مرة يتحدث رئيس التحرير عن «ذوي القلوب الجاحدة، والعقول الجامدة، والأقلام الشاردة، والنفّاثين في العقد، والمصدرين عن الضغينة والحسد..».

مما يدلّ على أن حركة التقريب بدأت تواجه استفحال العداء، وبدأت هي تتأهب لهذه المواجهة.

١٨- العدد الثاني، السنة الخامسة (شعبان ١٣٧٢هـ).

تتحدث الكلمة عن كوارث طبيعية ألمت بالعالم العربي من فيضانات وأعاصير(١٩٥٣م)، وما صحب هذه الكوارث من تعاون للتغلب على آثارها المخربة. وتدعو المجتمع إلى الابتعاد عن الفساد الذي يوجب الغضب الإلهي، كما تدعو المسلمين إلى الوقوف بوجه كارثة أعظم هي «كارثة الخلاف الذي جعلهم شيعًا، وقطّعهم في الأرض أممًا».

١٩- العدد الثالث، السنة الخامسة (ذو القعدة ١٣٧٢هـ)

الكلمة تنحو في هذا العدد منحىً أخلاقيًا نفسيًا. ويظهر أن الكاتب يريد أن يشير إلى ضرورة تهذيب النفوس باعتباره مقدمة لازمة للتقريب، والى أن أكثر مظاهر التنافر والتباغض إنما تعود إلى مسائل نفسية قبل أن تعود إلى مسائل عقائدية أو فقهية.

يتحدث الكاتب عن السماحة والعدالة في السلوك الإنساني، ويقول عنهما «فضيلتان جامعتان، إليهما يرجع كثير من الفضل في صلاحية الفرد والجماعة، وبهما - إلى حد كبير- ترتبط أسباب الطمأنينة والسعادة، وهما لذلك من أول ما يدعو إليه الإسلام، ثم هما لذلك من أول ما يدعو إليه التقريب».

٢٠- العدد الرابع، السنة الخامسة (صفر١٣٧٣هـ)

رئيس تحرير المجلة في كلمته يركز على ضرورة تصحيح المفاهيم الإسلامية مثل التقوى والتوكل والزهد والصلاح والقضاء والقدر وبركات الطاعة وشؤم المعصية والتعبد بتلاوة القرآن والاستشفاء بآيات القرآن والرقي والتعاويذ والاستخارة والتوسل والتبرك بالأولياء.

وفي المقال يوضح معنى مصطلحين هما: الإيمان والصبر. ويعتقد أن المسلمين أخطأوا فهم كثير من هذه فيحدثنا التاريخ «أن شعبا من المسلمين كان يستغيث من شدة الأعداء ببركات الأولياء، وأن قومًا آخرين قابلوا صولة عدوهم الضاري بالاجتماع لقراءة «البخاري». مع أنهم يتلون كتاب اللّه ويعلمون منه أن للنصر أسبابًا وللخذلان أسبابًا.».

«والشعوب وما أدراك ما الشعوب! لقد أضلّوها السبيل، فعلموها أن السلطان الجائر قضاء وقدر، فيجب أن يُصبر عليه، وأن الحكومة الظالمة مظهر من مظاهر التأديب الإلهي، فعليهم أن يتقبلوها بالرضا، وأن الفقر والغنى قسمة ونصيب لافكاك منهما، ولا إرادة لأحد فيهما، وهكذا أضعفوا الهمم، وثبطوا العزائم ، وأدخلوا في روع الناس أن الصبر واليأس لفظان مترادفان»!

هذه الكلمة تفتح أمام المسلمين سنة وشيعة بابًا كبيرًا من أبواب البحث المشترك التقريبي، هو دراسة المصطلحات الإسلامية ذات العلاقة بحياة الناس الفردية والاجتماعية.

٢١- العدد الأول، السنة السادسة (جمادى الأولى ١٣٧٣هـ)

في هذا العدد لا نرى كلمة التحرير بل نرى بدلها مذكرات دوّنها شيخ الأزهر ووكيل جماعة التقريب الشيخ عبد المجيد سليم بمناسبة دخول المجلة عامها السادس.

هذه المذكرات التي دونها تحت عنوان «خواطر من الذاكرة» تتضمن: أولا- التمييز بين التعصب المقيت الذي يؤدي بصاحبه إلى مجانبة الحق وهو العصبية، وبين التعصب بمعنى الغيرة على ما يراه حقًا، فذلك محمود بل واجب بالشرع والعقل.

وثانيا - ظاهرة الدفاع عن الإسلام بذهنية الإنسان المهزوم أمام هجوم الغرب، وهو طريق فيه خطر وإن استتر.

وثالثا - استهانة بعض الدعاة بعلوم الإسلام متذرعين بأن الصحابة المجاهدين ماكانوا يعرفون هذه الفروع التي خاض فيها أئمة الأصول والفروع. ويؤكد أن تنمية روح الجهاد لدى أبناء الأمة الإسلامية لا يتعارض معه التعمّق في دراسة الإسلام فهذا أيضا واجب إسلامي.

٢٢- العدد الثاني، السنة السادسة (شعبان ١٣٧٣هـ)

كلمة التحرير في هذا العدد مدونة بمناسبة ما كتبته الصحيفة البريطانية «التايمز» وهي تتحدث عن تقدم الإسلام بخطوات واسعة في غرب أفريقيا ، ومايخشاه المستعمرون من هذا التقدم، وما يوحون به إلى أوليائهم من «وجوب محاربة الإسلام والحدّ من تقدّمه، بنشر

البدع والخرافات حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغطه المتزايد».

ويعلّق الكاتب على هذا الخبربأن هذه الحرب شُنّت منذ القديم بوجه الإسلام «حرب الإسفاف والإرجاف والكذب والاختراع، ليغرقوا عامة أهله في الأوهام والخرافات، ويحيّروا خاصته بالشكوك والشبهات، ويوقعوا بينهم الخلافات والعداوات، ويصرفوا بهذا كله عن دين الإسلام أرباب العقول، وروّاد العلوم وطلاب الحقائق، وهذا سرّما نجده منبثًا في كتب التفسيروالآثارمن الروايات التي تعرف بالإسرائيليات».

٢٣- العدد الثالث ، السنة السادسة (ذو القعدة ١٣٧٣هـ)

تشيرالكلمة إلى أن رئيس التحرير كتب مقالا تحت عنوان «لولا القدماء» أشاد فيه بجهود السلف في تطويرالعلوم و إثراء التراث، وأن العلماء سيما الأزهريين استقبلوه بالترحيب . غيرأن الكاتب يستدرك على ماقال كي لا يخيل إلى أحد أنه يريد العكوف على القديم فيقول: «إن هذا التفكيرالملحّ في ماضينا.. إنما هو في واقع أمره دواء منوّم مخدّريخدعنا عن أنفسنا إذا تعاطيناه بإفراط، واسترحنا إلى ما يحدثه من «تسكين،» وقتي لآلامنا و إرضاء وهميّ لخيلائنا».

هذه نقطة يثيرها الكاتب ونقطه أخرى هي ضرورة مواكبة التطورات العلمية في جميع مجالات المعرفة، فالقرآن «يوحي إلى المؤمنين أن يطلبوا العلم ويحرصوا على التجديد منه، وعلى التجديد فيه، وأن لا يكونوا أسرى تقليد، وسجناء جمود..». ثم ينكرعلى

الذين يحاولون فهم الواقع والمستقبل من خلال ماكتب في الماضي ويقول: «ولا أجد لهذا مثلا إلا أن تدرس «الجغرافيا» الحاضرة من مثل كتاب «معجم البلدان» وقد تغيرت البلاد ومن عليها، وتقلبت أحداث الزمان مئات المرات بعد معجم البلدان..»

٢٤- العدد الرابع - السنة السادسة (صفر١٣٧٤هـ)

تسلّط الكلمة الضوء على الآية الكريمة: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّه مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

ويوضّح الكاتب مافي الآية من دروس للدعاة وهم يحملون الرسالة إلى من عاندوا الإسلام وكابروا فيه، ثم يتساءل: «فكيف يسوغ للمسلمين فيما بينهم أن يقوم ناعبٌ لاهَمَّ له إلا أن يقطع أواصرهم ، ويحل خناصرهم، ويجعلهم أعداء يتربص بعضهم ببعض، ويكيد بعضهم لبعض؟!».

إن مقياس الرقي الحضاري في نظرالإسلام هو حين يقوم (الإنسان) بالخلافة عن (الله) في أرضه على وجهها الصحيح: بأن يُخلصَ عبوديته لله ويَخلص من العبودية لغيره، وأن يحقق منهج الله وحده، ويرفض الاعتراف بشرعية منهج غيره، وأن يحكّم شريعة الله وحدها في حياته وينكر تحكيم شريعة سواها، وأن يعيش القيم والأخلاق التي قررها الله له ويسقط القيم والأخلاق المدّعاة...

سيد قطب

قائد القوة البرية الايرانية:
الصحوة الإسلامية حاصرت النفوذ الأمريكي في المنطقة

أكد قائد القوة البرية التابعة لجيش الجمهورية الاسلامية الإيرانية أن الصحوة الإسلامية في دول المنطقة حجّمت نطاق نفوذ أمريكا وخارطتها الجيوالسياسية.

وقال العميد احمد رضا بوردستان ان الاستكبار العالمي وعلى رأسه أمريكا متواجد اليوم بكل قواه في منطقة الشرق الاوسط، حيث أسفر عن وجهه العسكري الحقيقي، مضيفًا أن الاحداث التي تقع في ميانمار وسوريا وسائر الدول مستقاة من تحريض أمريكا ضد هذه الدول، حيث تسعى للقضاء على الإسلام من خلال دعم المتمردين.

وأشار العميد بوردستان إلى تحليل قائد الثورة لما يجري في الوقت الراهن على الصعيد العالمي بأن العالم يعيش منعطفًا تاريخيًا عظيمًا، هذا المنعطف الذي كبح جماح تقدم العدو وأقعده في مختلف الجوانب الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

وأوضح، أن «حركة الشعوب والصحوة الإسلامية في دول المنطقة حجّمت من نطاق نفوذ أمريكا وخارطتها الجيوسياسية»؛ وقال «إن الأمريكيين يعتقدون أن هذه الحركات نابعة من نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية لذلك قاموا بتشديد العقوبات على بلادنا، وقد تحدثوا مؤخرًا عن عقوبات مشلة».

شجرة المقاومة أزهرت والشعوب تقطف ثمارها

تلقى الأمينُ العام لحزب الله سماحة السيّد حسن نصرالله برقية تهنئة من رئيس الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة محمود أحمدي نجاد بذكرى الانتصارفي حرب تموزعام ٢٠٠٦، مباركًا للبنانيين وللمقاومة بالانتصار.

وقال الرئيس نجاد في برقيته، «أتوجّه إلى سماحتكم وشعب لبنان الشقيق البطل بأطيب التهاني بذكرى الانتصارالمشرّف للمجاهدين الأبطال والمضحّين في المقاومة الإسلاميّة في حرب الثلاثة والثلاثين يومًا»، لافتاً الى أن «الذي تحقّق إنّما هو في ظلّ العناية الإلهية وقيادة سماحتكم الفذّة والجهاد الذي خاضَهُ المقاتلون الأعزاء في المقاومة الباسلة لشعب لبنان المظلوم وبفضل الدماء الزكيّة التي بذلها الشهداء الأعزاء».

كما أوضح الرئيس الإيراني أنه لا شكّ أنّ حرب الثلاثة والثلاثين يوماً تشكّلُ فتح الفتوح بالنسبة للمقاومة في لبنان والمنطقة، حيث استطاعت المقاومة سحقَ هيمنة الكيان المحتل، لافتًا إلى أنّ «نتيجة هذه الحرب المفروضة كانت العزّة والرفعة للشعوب والذل والهوان لجبهة الاستكباروحماتها».

إلى ذلك، رأى الرئيس الإيرانيّ أنّ «شجرةَ المقاومة أزهرت اليوم، وباتت شعوب المنطقة تقطف من ثمارها الطيّبة».